داتورا

داتورا
رواية
د / إسلام فتحي
الطبعة الأولي .. ٢٠١٤

الغلاف : أسامة علام
اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/١٩١٩
ISBN : 978-977-6412-58-3

الحلم للنشر والتوزيع
مكتبة الحلم : ٢٦ شارع شامبليون - من ميدان طلعت حرب - وسط البلد - القاهرة
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

داتورا

رواية

إسلام فتحي

إهداء

إلي الخلوق المحترم الذي يمد للجميع يد العون ولا يكل ولا يمل من النصح والتوجيه .

الأستاذ الذي يحترم الصغير قبل الكبير ويتحلي بأخلاق الكبار دائما .. الأستاذ الذي أكن له كل إحترام وحب وتقدير كأب وأخ كبير

إنه المهندس مصطفي الفرماوي

مدير تزويد مكتبات الشروق

الذي يؤمن بموهبة الشباب وحماسهم ويشاركهم هذا الحماس بلا تكبر .

إهداء

إلي أنطون بافلوفيتش تشيخوف

نعم صحيح ما قرأت .. إنه تشيخوف

لا أهدي إليه روايتي الثانية من باب التباهي

و(المنظرة الفارغة) لكني أهديها إليه لأنه طبيب وكاتب مسرحي ومؤلف قصصي روسي كبير ينظر إليه على أنه من أفضل كتاب القصص القصيرة على مدى التاريخ ومن كبار الأدباء الروس .. بدأ تيشيخوف الكتابة عندما كان طالباً في كلية الطب في جامعة موسكو، ولم يترك الكتابة حتى أصبح من أعظم الأدباء، واستمرّ أيضاً في مهنة الطب وكان يقول (إن الطب هو زوجتي والأدب عشيقتي) وهكذا أنا أقول ..!

تقديم..

إن الإمارة والتجارة لا تجتمعان

الفصل الأول

المصحة

إن النفس البشرية مليئة بالمتناقضات التي ربما تظهر علي الشاشة في برنامج مواقف وعجائب !

ففي المصحات النفسية يمكنك أن تري أنماطا مختلفة من البشر بوضوح .. قد يختلفون عن بعضهم البعض في الظائف والمراكز والأعمار المختلفة .. لكن يبقي القاسم الوحيد الذي يجمع بينهم دائما هو المرض النفسي مع إختلافه.

لم أكن أعرف أنى سأتعلم هنا أكثر مما تعلمت في الكتب خلال سنواتى الدراسية الطويلة .. إكتشفت بالممارسة أن التجربة خير معلم ..!

كانت المصحة في منأي عن المدينة ..كان من الطبيعي أن تُبني مصحة مثلها في مكانٍ ريفي بعيد عن زحمة وصخب المدينة المتواصل .. فالمريض النفسي دائما في حاجة الي الهدوء والإسترخاء والمناظر الطبيعية من شأنها بعث الراحة ..لذا فقد كانت المصحة تتميز بهذا الطابع الذي بنيت عليه .

كانت هناك نافورة كبيرة تأتي بعد البوابة الحديدية الضخمة المتصلة بالسور العالي لمنع أي حالة من حالات الهرب التي قد تسبب عواقب وخيمة لأي حالة .. كانت هذه النافورة كبيرة وجميلة علي شكل بحيرة يقف عليها ستة من الأسود التي تخرج من أفواههم المياه ..ثم كانت هناك حديقة، كبيرة وجميلة للغاية

زُرع فيها كل أنواع الزهور وكان عم محمود الجناينى بارع في الإعتناء بالحديقة فكان يهذب الشجيرات حيث لم يكن مسموحا بزرع الشجر العالي ويعتني بالورود فتتخيل أنك في حديقة هندسية شديدة الجمال .

في نهاية هذه الحديقة الغناء كان يقع باب مبني المصحة الداخلي وكانت بوابة اليكترونية تفتح علي استقبال فخم علي شكل دائرة.. قطر هذه الدائرة كان ممر مائي بسيط ينتهي الي نافورة جميلة وصغيرة .. حدود هذه الدائرة كان مزروعا بالياسمين الذي كان يبعث بتلك الرائحة المميزة للمصحة .. وفي النهاية كان كاونتر الاستقبال وكأنه فندق خمس نجوم وليست مصحة للعلاج النفسي.. وعلي يمينه كان هناك ريسيبشن كبير يحتوي علي مقاعد من الجلد الفخم للإستراحة تتطلع الي الحديقة من خلال الزجاج الذي يغلف الطابق الأرضي ككل.. وكان هناك مصعدا علي يسار الاستقبال بجواره ردهة طويلة تنتهي الي المكاتب الإدارية .. تبدأ بمكتب الشئون الإدارية يليه مكتب الحسابات والخزينة ثم الصيدلية .. أما في نهاية الردهة في الوجه مباشرة علي مسافة تسمح بالخصوصية والهدوء من المكاتب الإدارية كان يقع مكتب نائب مدير المصحة وبعده بخطوات كان مكتب مدير المصحة .

بنيت المصحة لتتكون من خمسة طوابق بسعة ١٢٥ سرير غير الأرضي والـ Under Ground أو الطابق الذي يوجد فيه المطبخ

والمطعم والمغسلة .. كان كل طابق يحتوي علي خمسة وعشرون مريضا .. نزيل في كل غرفة .. كما كان يوجد غرفتين للتمريض.. وغرفتين لإستراحة الأطباء وغرفة للتموين الطبي تحتوي علي جدول العقاقير الذي يأخذها كل مريض موجود في الطابق يوميا وكانت هذه الغرفة تقع تحت إشراف رئيسة التمريض مع الطبيب النوبتجي المختص .

كانت الحالات التي نتعامل معها شديدة التعقيد ومعظمها حالات خطرة ، لذلك لم يكن من المسموح أبدا أن يخرج المريض من تلقاء نفسه ، فكان خروجهم من غرفهم له قواعد ونظام ، فالحرية للمريض النفسي تكون كحد السكين .. لأنه من الوارد أن يؤذي نفسه وقد يؤذي الآخرين أيضا ..خصوصا تلك الحالات النفسية الحادة والخطيرة التى نتعامل معها .. ولم يكن مسموحا بالزيارة أيضا إلا بعد استئذان مدير المصحة شخصيا .. وكانت الزيارة للأقارب من الدرجة الأولي فقط .. وكان يسجل في سجل الزيارة كل بياناتهم في كل زيارة ..

كان يعمل في المصحة العديد من الأطباء النفسيين الذين يتمتعون بمهارة وشهرة عالية حققوها بجهد واضح للجميع .. كان أشهرهم الدكتور أحمد بركات الذي حصل علي الماجستير والدكتوراه من

جامعة هارفارد .. وذاع صيته من خلال عيادته التي أسسها في منطقة المهندسين .. كان بالنسبة لنا دائما ابن الناس الكويسين .
كان طويلا يتمتع ببنية قوية ،ومنكبين عريضين ، له شعر أسود قاتم ناعم .. فكان يجعل طوله متوسطا ليضفي علي وجهه المشرب بالحمرة الوقار والبهوية في نفس الوقت .. كنا نعرف مسبقا ونحن لازلنا طلبة في الكلية أنه سيفوقنا بمراحل عندما نتخرج .. فقد كان الابن البكري للمرحوم الدكتور محمد بركات عميد كلية الطب السابق .. وشهادة حق فلم يكن يعتمد أبدا علي اسم والده وكان مجتهدا .. يتمتع بالأموال الطائلة التي تركها له أبيه ويتنعم فيها.. لكنه لم ينس أبدا هدفه وهو أن يصبح يوما ما مثل أبيه .. وقد تخرج بالفعل والآن هو من أشهر أطباء الطب النفسي في مصر ..
وكان علي نهجه الدكتور أشرف حمدي مطر ابن المهندس حمدي مطر حيث حصل علي الدكتوراه من فرنسا وعاد ليؤسس عيادته في منطقة الشيخ زايد ..
كان متوسط الطول ذو شعر قصير وبشرة قمحاوية وعينين عسليتين .. يتحدث الانجليزية والفرنسية بطلاقة أكثر من اللغة العربية نفسها ..
وكنت ثالثهم أمجد فكري لكني لم أكن بمستواهم المادي لأحصل علي الدكتوراه من تلك الجامعات العالمية التي حصلو منها علي درجاتهم العلمية ،فقد حصلت علي الدكتوراه من نفس الكلية

التي تخرجت منها .. كلية الطب جامعة القاهرة حيث عُينت كمعيد بعد تخرجي مباشرة ..

كانت هيئتي بسيطة تنم عن طبقتي المتوسطة التي كنت أنتمي إليها .. وكنت دائما أتطلع إلي الأفضل .

تفرغت للجامعة وأسست عندما انتهيت من الماجستير عيادتي في منطقة وسط البلد .. عيادات ومصحات الطب النفسي لن تجد لها جدوي في المناطق الشعبية فكثيرون لا يعلمون إلا القليل عن الأمراض النفسية ، ولا يفرق بين الأمراض النفسية والعقلية .. كل من يزور العيادات النفسية ينعتونه بالمجنون ..فمن الطبيعي أن تجد العيادات النفسية والمصحات في أماكن راقية يتسع فيها عقل قاطنيها ليفرق بين المرض النفسي والعقلي .

كانت مصحة الدكتور شوكت شاكر الذي اختارني من بين العديد من الزملاء في الكلية لأكون معه في المصحة بمثابة البيت الثاني لنا جميعا .. وكنت مسئولا عن تدريب طاقم التمريض والأطباء والنواب الجدد علي كيفية التعامل مع المريض النفسي في مدرج التدريب الملحق بالمصحة .. فالكتب التي كنا ندرسها شيئ والاصطدام بالمرض النفسي السافر هنا شيئا آخر ..

كنت أخبرهم دائما أنه لا فائدة من أن نطلب من المريض أن يغير تصرفاته ، لأنه يتصرف كما يفعل لأنه مريض وليس لأنه ضعيف أو جبان أو أناني أو بدون أفكار أو قاس أو غبي... إنه لا يستطيع

كما لا يستطيع المريض الذي يعانى من الإلتهاب الرئوي أن يغير درجة حرارته المرتفعة .

فلو كان عنده بعض المعرفة عن طبيعة مرضه - ومعظم المرضى يعلمون بالرغم من أنهم يعطون مؤشرات قليلة عن معرفتهم للمرض - فإنه سيكون مشتاقا مثلك تماما لأن يكون قويا وشجاعا ولطيفا وطموحا وكريما ورحيما ومفكرا ، ولكن في الوقت الحالي لا يستطيع ذلك .

هذا الموضوع هو أصعب شئ يجب على أقاربه والفريق الذي يتابع حالته أن يفهموها جيدا ويقبلوا بها ... ولا عجب أنه يأخذ جهدا كبيرا منك لكي تُذكر نفسك أنه (المرض) عندما تكون مثلا الهدف لعلامات العداء المرضية من الأخت، أو عندما تكون الوقاحة والخشونة والبرود هو رد أخيك لكل ما تقدمه وتفعله له .

لكن يجب أن تذكر نفسك دائما أن هذا هو جزء من المرض .

فالمريض النفسى يعانى من عدم القدرة على التمييز بين ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي . وربما يعانى كذلك من بعض الاعتقادات الخاطئة ... ربما يعتقد أنه شخص آخر وأن شخصا ما مات منذ فترة ما زال حيا أو أن بعض الغرباء يريدون إيذاءه ... إنه يدافع عن هذه المعتقدات الخاطئة بالطريقة التى قد يدافع

بها أى فرد منا بعناد ومكابرة عن شئ ما غير متأكد من صحته ... من وراء دفاع المريض حيرة ما بين الحقيقى وغير الحقيقى .

فإذا ظل المريض يراجعك مرة بعد مرة عن بعض الحقائق الواضحة، حينئذ يجب أن تكون مستعدا بسرعة وبصبر وحزم بسيط لكي تشرح له الحقيقة مرة أخرى .. إنه يحتاج مساعدتك لكى تظهر الحقيقة أمامه من جديد . ويحتاج أيضا أن تجعل الأشياء من حوله بسيطة وغير متغيرة بقدر الإمكان .

التعامل كما تري مع المرضي النفسيين شاق وصعب لذا فمعظم الطبقة الراقية تلجأ الي إلحاق مرضاها في مصحة كمصحة الدكتور شوكت شاكر التي أعمل بها حيث السرية التامة والمهنية العالية ومعدلات الشفاء المرتفعة ..

كنت سعيدا بالعمل في المصحة وكان كل شيئ يسير في هدوء حتي ٢٦سبتمبر ٢٠١٠...

حدثت في هذا اليوم جريمة بشعة اهتزت لها المصحة بالكامل وقلبت الأمور رأسا علي عقب ..

كان كل شيئ طبيعي كعادة كل يوم ..كنت مقيما في هذا اليوم في المصحة .. في الصباح اتجهت للمطعم حيث تناولت طعام الإفطار ثم أشرفت علي إستلام جدول العقاقير التي يتم إعطاءها للمرضي الذين أتابع حالاتهم من الصيدلية مع مشرفة تمريض الدور الخامس حيث كنت أشرف علي حالات النزلاء .

مر الشيف محمود بصحبة فاطمة الممرضة علي جميع الغرف ليوزع عليهم وجبة الإفطار المعهودة كعادة كل يوم حتي انتهي بهم المطاف الي الدور الخامس وهو الدور الأخير في المصحة .. حيث سمعنا صُراخاً دوي صداه في المصحة بأسرها .. فزع الجميع.. وتوجه كل من سمع الصراخ الي الدور الخامس وهرولت بدوري إلي هناك .

كانت فاطمة تمارس الصراخ والبكاء في فزع واضح واضعة كلتا يديها علي وجهها منزوية في أحد الأركان وصوت جهوري للشيف محمود يزأر به ليحث رجال الأمن ومدير المصحة علي المجيئ بسرعة .. دخلت الغرفة مسرعا مبعدا بيدي كل من كان يقف علي الباب .. لأجد الأستاذ محمود ضرغام نزيل الغرفة رقم ١١١ ممددا علي سريره وكأنه يغط في نوم عميق .. إلا أنه كان موثقا بإحكام شديد في السرير من قدميه وكلتا يديه مما يُظهر أنه مات مقتولا . اقتربت لأسترق النظر في حذر وترقب شديد . بدا لي وجهه شاحبا يميل الي اللون الأزرق كأنه تجرع أو حُقن بشيئ ما تسبب له في ذلك .. هممنا لفك قيوده لكن منعنا الدكتور شوكت من فعل ذلك .. منبها ومحذرا لنا بعدم لمس أي شيئ في الغرفة حتي تأتي الشرطة .

***

سمعنا صوت عربات الشرطة تدخل المصحة بعد نصف ساعة من اتصال الدكتور شوكت ..

تقدم الرائد أحمد صبري مفتش المباحث مع رجاله الي الداخل وهو يلقي نظرة فاحصة علي تلك البنايات والحديقة الفخمة التي تليق بفندق سياحى خمس نجوم وليس بمصحة للأمراض النفسية.

لا عجب أن يدفع النزلاء مبالغ باهظة إزاء تواجدهم للعلاج في مثل هذه المصحات !

كان الدكتور شوكت مدير المستشفي في استقبالهم ليصحبهم الي حيث وقعت الجريمة .

كان يرتدي البالطو الأبيض علي قميص ورابطة عنق مميزة وعلامات الحزن تقتسم ملامحه .. رحب بهم مشيرا لاتجاه سيرهم.. وهو يعبر عن حزنه الشديد لوقوع هذه الجريمة البشعة في مصحة لها اسمها وسمعتها ..

- لقد أسست هذه المصحة كما تري علي أهم وأفضل التقنيات والأساليب الحديثة حتي في الطراز المعماري التي بنيت عليه المصحة .. ليس في قاموسنا أبدا إستياء أحد النزلاء من شيئ ما في المعاملة أو الإقامة .. نحن نعتبر نفسنا مصحة خمس نجوم.. الخدمة والمعاملة والفريق الطبي علي أعلي مستوي .. لا أعرف كيف يمكن أن تحدث جريمة قتل في مكان كهذا ..؟!

التفت إليه الرائد أحمد في هدوء :

- كما أن مكانا رائعا كهذا لا يعتقد إلا كونه فندقا سياحيا يحتوي علي مرضي نفسيين .. فمن الممكن أيضا أن تحدث فيه أبشع الجرائم .! سنري الآن ما يمكننا فعله ..

ثم تلفت حوله قائلا :

- أنا مش شايف غير خمسة طوابق فقط ؟

- بالفعل .. خمسة طوابق فقط .. الطوابق الأخري فهي طوابق إدارية.. كل طابق يحتوي علي ٢٥ غرفة .. هي في الحقيقة أقرب الي الأجنحة الفندقية في أكثر الفنادق فخامة .

- يعني المجني عليه كان نزيل في إحدى هذه الأجنحة الفندقية .. ؟

- صحيح .. كان نزيل في الدور الخامس ..غرفة ١١١

- اسمه .. ؟

- اسمه محمود ضرغام

- وكان بيشتغل إيه ؟

- رجل أعمال

- مين اللي جابه المصحة ؟

- زوجته رجاء هانم مقبل .

***

كان الجناح فخما بالفعل كما وصفه مدير المستشفي وكأنه جناح قرية سياحية . فالجناح من الداخل كان فسيحا به شرفة كبيرة تزينها ستائر سيدار العالمية تطل علي الحديقة الداخلية للمصحة بالأضافة الي سرير واحد كبير والي جواره أباجورة علي طاولة مستديرة أما أمامه فكانت شاشة LED بحجم ٤٢ بوصة تحتها مكتبة بسيطة مودرن علي شكل حرف Z وعلي يمينها تسريحة بيضاوية وفي النهاية كان هناك دولاب .. بالاضافة الي حمام خاص.
كان رجال جمع الأدلة الجنائية علي وشك الإنتهاء من عملهم بينما كان الرائد أحمد صبري مفتش المباحث الجنائية وزميله نادر يتفقدان الغرفة حيث كانت الجثة في مكانها .. كان من المهم أن يلقي مفتش المباحث نظرة علي الجثة في مسرح الجريمة .

لم يكن هناك شيئا ملفتا للإنتباه بالمرة.. كان كل شيئ طبيعيا.. الأرضية ..الجدران .. الدولاب الخاص بالمريض ..
اقترب من الجثة في ترقب ليتفحصها .. إنحني ليحدق النظر فيها عن قرب ..

- مفيش كدمات علي الرأس .. ولا الوجه ..مفيش غير السلك اللي مربوط بيه من إيديه ورجليه وعلامات زرقا..!!
- واضح إنه سم .. !!

ثم إعتدل وأشار إليهم أن يكملو بحثهم ورفع البصمات من مسرح

الجريمة .

التفت الي نادر :

- عايز البصمات اللي علي السلك ده .. يارب يكون نسي يلبس الجاونتي عشان ميتعبناش ..!

ثم راح ببصره الي الدكتور شوكت وأكمل :

- إلا لو كان دكتور ومتعود يلبسه مثلا ..

حدقه الدكتور شوكت الذي بدت عليه علامات الفزع :

- حضرتك بتلمح لإيه بالضبط .. كل الأطباء اللي في المصحة أطباء ليهم إسمهم وتاريخهم الطبي ..وناس أفاضل ومحترمين ..

رد عليه في لا مبالاة وهو يخرج سيجارة ويشعلها.. :

- كله هيبان يا دكتور .. إنت اتخضيت ليه كده ؟

أنا مش عايزك تقلق .. الجميع عندي مشتبه فيه لحد ما أعرف القاتل الحقيقي ..! ده أسلوب شغل فياريت ميكونش عندكم حساسية من الحكاية دي .. !

ثم أشار للجثة وسأله :

- المريض دا بيتعالج هنا من امتي ؟
- ست شهور تقريبا
- وكان بيتعالج من ايه ؟
- كان بيتعالج من الصرع والعصاب
- دي أمراض خطيرة يعني ؟

- بتكون خطيرة لما بتخرج عن السيطرة ..

- وهو كان تحت السيطرة دي ولا كان من الخطرين هنا ؟

- في الفترة الأخيرة بس.. كان بياخد مهدئات مركزة لأنه بدأ تظهر عليه ردود أفعال عنيفة تجاه النزلاء والفريق الطبي وطبعا العنف ده بيتحول تدريجيا حد إنه ممكن يأذي نفسه .

التفت ببصره إلي نادر:

- أنا عايز كشف بكل أسماء الفريق الطبي وكل اللي تردد علي المصحة خلال الشهر دا بالكامل

- حاضر يا فندم ..

ثم عاد ببصره الي الدكتور شوكت :

- وياريت لو تعملنا كشف بالأدوية اللي كان بياخدها آ... هو اسمه إيه ؟

- محمود ضرغام

- آه.. محمود ضرغام ..

- ده موجود فعلا في السجلات ومسجل كمان في سجل الزيارة كل شخص دخل المصحة لزيارة أي مريض وكل بياناته بتتسجل في كل مرة بيزوره فيها بالتاريخ والساعة بدقة .

- جميل ..جميل .

- بلغت أسرته ؟

- أيوه يافندم .. من نص ساعة تقريبا ..

- قلت لي انه كان تحت السيطرة الطبية ؟
- أيوه
- وإيه طبيعة الأمراض دي اللي كان بيعاني منها ؟
- الصرع هو إختلال عصبي داخلي ينتج عن إضطراب الإشارات الكهربائية في خلايا المخ.
- تشنج يعني ؟ لو فهمت صح !
- في الحقيقة التشنج عرض من أعراض الصَّرْع فقط ، لكن الصَّرْع نفسه هو استعداد المخ لإنتاج شحنات مفاجئة من الطاقة الكهربائية التي تخل بعمل الوظائف الأخرى للمخ فتظهر الشحنات المفاجئة دي لحضرتك كإنها تشنج مفاجئ ..!
- وده شيئ خطير يعني ؟
- زي ما قلت لحضرتك بيكون خطير لما بيخرج عن السيطرة
- وهوكان تحت السيطرة ؟
- أيوه ..!

أثناء ذلك اقتحمت فتاة الغرفة وهي مضطربة وتصرخ ومن خلفها شاب أنيق وخلفه سيدة ممشوقة القوام ومن حولها الحرس ..

همس مدير المستشفي الي الرائد أحمد إنها زوجته رجاء هانم مقبل وأولاده ..

أشار الرائد أحمد الي معاوني المباحث ان يمنعو دخول (البودي جارد)..

تشبثت الفتاة بالجثة وهي تصرخ ..بينما وقفت زوجته علي مقربة منه وهي تقول : قتلوه المجرمين ..

أخذ الرائد أحمد يتابع انفعالاتهم ثم أشار لرجال المعمل الجنائي بإستكمال عملهم .. في حين حاول معاوني المباحث إخراج الأولاد وتهدئتهم.. بينما اقترب الرائد أحمد من رجاء هانم :

- البقية في حياتك يا مدام ..أنا الرائد أحمد صبري من المباحث الجنائية والمكلف بالقضية ..

- أهلا وسهلا

- سمعتك بتقولي حاجة كده زي .. قتلوه المجرمين ..!

إنتي بتتهمي حد ؟

نظرت إليه وهي تمسح دموعها المنسابة في صمت ..

فاستطرد :

- علي كل حال أكيد هقعد مع حضرتك لما تهدي .. وده الكارت بتاعي ياريت تكلميني في أي وقت تكوني مستعدة فيه إنك تتكلمي ..

عاد ببصره الي الجثة المقيدة في السرير ومط شفتيه في إمتعاض ثم انصرف تاركا أفراد البحث الجنائي ينقلون الجثة الي المعمل الجنائي ..

***

دخل أحد معاوني الرائد أحمد المكتب بيده بعض الملفات :

- تفضل يا فندم .. ده فايل فيه أسماء كل اللي زار المصحة في الشهر الحالي والماضي كمان سعادتك

وده كشف فيه الأدوية اللي كان بياخدها المجنون سعادتك ؟

قاطعه :

- مجنون ؟ إسمه مجنون ؟ مش كل مريض نفسي يبقي مجنون يا شريف .. المرض النفسي حاجه والجنون حاجة تانية خالص .

- تمام سعادتك ..

- المرض النفسي إيه ؟

- حاجة والجنون حاجه تانية ..

- تمام كده

- تمام سيادتك .. ده كشف فيه كل الأدوية اللي كان بياخدها المريض النفسي ..وده كشف تاني فيه كل أسماء الفريق الطبي ومواعيد شفتاتهم وكل التغيرات اللي حصلت في الشفتات خلال شهر يا فندم ..

- تمام ياشريف الله ينور .. بحبك لما بتركز

- أوامر سعادتك يا فندم

- إنت إيه رأيك في الجريمة دي ؟

- مش ممكن يكون إنتحار سعادتك ؟

- صعب ياشريف نصدق إنه إنتحار .. أكيد مش إنتحار .. إنتحار إزاي يعني وهو متكتف من إيديه ورجليه ..!

- واضح إن الموضوع معقد يافندم وإننا مش قدام مجرد عادي .!

- إشمعني ؟

- الطريقة اللي كان متكتف بيها المريض ده في السرير بتقول إن اللي ارتكب الجريمة دي عارف كويس هو بيعمل إيه .!

- علي كل حال إحنا لازم نستني تقرير المعمل الجنائي .. مع إن حدقي بيقولي إنهم مش هيلاقو حاجة ..

- بالضبط سعادتك.. المكان كان مترتب جدا بشكل ميظهرش إن كان فيه جريمة في المكان ده ..!

- تمام ياشريف .. حتي السرير مكنش عليه أي أثر لمقاومة.. حركة عادية لواحد نايم .. وده لو بيوضح حاجه ..يوضح إن الشكوك كلها ممكن تكون متوجهة لمين في المقام الأول ؟

- لمين سعادتك ؟

- للفريق الطبي .. ليه بقي الفريق الطبي ؟ لأن واضح من ترتيب الغرفة إن المريض كان متعود يشوف الشخص اللي دخل عليه وقتله وعشان كده مكنش فيه أي مقاومة أو هرجلة في المكان ..وفضل زي ما هو مترتب ..!!

- أو دخل وهو نايم سعادتك ..!

- محتمل بردو..

- ده كلام منطقي جدا.. خلاص يا فندم .. طيب ما نبدأ في استجواب الفريق الطبي ..

- لأ.. ياريت لو تستعجلي محمد عبد السلام في تقرير مبدأي من المعمل الجنائي عشان نبدأ في الاستجواب ..

- أوامر سيادتك يا فندم ..

***

تحرك في الغرفة واضعا يده خلف ظهره .. تمطع بعض الشيء وحك أسفل ذقنه بأظافره .. ثم رمق المتعلقات الشخصية للمجني عليه بطرف عينيه .. واتجه إليها وكأنه تذكر شيئ ما ..أو تذكر أنه لم يتفحصها بعد ..

جلس إلي مكتبه وأخذ يتأملها ..

خاتم من الفضة كبير النقش والحجم ويبدو أنه غالي الثمن .. ساعة سويسرية الصنع .. سلسلة فضة .. مفكرة .. قلم باركر .. وجهاز لاب توب .. ونظارة شمسية ماركة ريبان .. وبضعة مئات من الجنيهات .. !!

يالها من متعلقات شخصية لمريض نفسي ..!

ما الذي يصنعه مريض نفسي بلاب توب وبهذه النقود ..!

تنهد الرائد أحمد وتكلم بصوت مسموع :

- هو المريض النفسي يقدر يتعامل مع الكمبيوتر ؟

في هذه الأثناء دخل نادر فباغته الرائد أحمد بنفس السؤال الذي ردده :

- هو المريض النفسي يقدر يتعامل مع أجهزة الكمبيوتر ؟

- دا انت مستنيني بقي ؟

- ماهي حاجه تجنن .. لاب توب وفلوس مع مريض نفسي في مصحة نفسية ! طيب بيعمل بيها إيه ؟ ده نزيل في مصحة خمس نجـ .. خمس دا إيه ..سبع نجوم .. يعني مدفوع تمن إقامته

بالكامل فأكيد مش هيحتاج أي تعاملات مادية مع أي حد جوه المصحة.. !!

- أعتقد إن المرضي النفسيين بيختلفو عن بعض .. يعني ممكن فعلا يكون فيه مريض نفسي قادر علي التعامل مع الكمبيوتر .

- طيب ماهو لو قادر علي السيطرة علي نفسه والتعامل مع الكمبيوتر ويفهمه وقادر علي إنه يتعامل بالفلوس ويميزها ويميز الأشخاص اللي يتعامل معاها بالفلوس دي .. يبقي ممكن جدا يمارس حياته الطبيعية عادي جدا ويروح شغله عادي جدا .. وياخد علاج زي أي مرض ..ضغط ولا سكر مثلا ..!

وأفتكر إننا ممكن نكون محتاجين نروح لدكتور نفسي ويكتب لنا مهدئات أو أدوية معينة ..لكن مش شرط نتحجز في مصحة نفسية!! ولا إيه ؟

- فعلا .. أفتكر إننا أول شخص لازم نستجوبه هو مدير المصحة نفسه ..

- بس لازم نتكلم مع طبيب نفسي الأول قبل ما نستجوبه.. حد تبعنا عشان نقدر نفهم ..

- أنا أعرف طبيب نفسي ممتاز .. إسمه عابد مراد .

- ممكن نقعد معاه إمتي ؟

- الوقت اللي تحبه ..نكلمه نحدد معاد معاه ونروح له ..

- كلمه دلوقتي .. حدد معاه أقرب معاد يناسبه ..!

الفصل الثاني

الداء الخفي يصعب شفاءه

التقي نادر والرائد أحمد صبري بالدكتور عابد مراد في مكتبه صباح اليوم التالي ..

- أنا بشكر حضرتك طبعا يا دكتور عابد علي سرعة استقبالك لينا .

- أهلا بيكم يا سيادة الرائد .. نادر صديق عزيز وأنا عمري ما اتأخر عنه أبدا .. تحت أمركم ..

- إحنا بنحقق في جريمة قتل ..ومحتاجين تفسير لسلوك مريض نفسي عشان نقدر نقيم تعامل المريض ده والجريمة ككل .

- المرضي النفسيين مش كلهم زي بعض .. المرض النفسي مختلف وبيختلف باختلاف درجته عند المريض .

- يعني إيه ؟

- هو المريض بيعاني من ايه ؟

- مدير المستشفي قال صرع وعصاب ..!

- العصاب ده نوع من أنواع الخوف اللي بيؤدي إلى إضطراب في الشخصية وفي الأتزان النفسي للشخص ككل. لكن ده عبارة عن إضطراب عصبي وظيفي يعني غير مصحوب بتغير بنيوي في الجهاز العصبي.

- طيب وإيه أعراض المرض ده ؟

- في كتير من الأحيان بتكون فيه أعراض هستيريا, وحصر نفسي, وهواجس مختلفة

- ده معناه إنه بيهلوس ؟

- لا ..مريض العصاب مبيعانيش من الهلوسة ولا من فقدان الصلة مع الواقع .

سلوك الأشخاص اللي بيعانوا من العصاب عادي وطبيعي .

- يعني مريض العصاب أو الصرع ممكن مرضه النفسي يدفعه إنه ينتحر ؟

- الشخص اللي بيعاني من عصاب غالبا بيعاني من إكتئاب، خوف ،غياب الشعور بالعواطف والأحاسيس، غياب الأتزان النفسي والعاطفي ،قلق ووساوس ،شكوك لا أساس لها, وسعات بتظهر الأعراض في شكل حدوث شلل لعضو في الجسم بدون أن يكون له سبب عضوي لكن إنتحار لأ بالعكس ..لأنه يدرك إنه في وعكة نفسية وبيحاول علاجها ومواجهتها ضيف علي كل ده إنه لا يفقد القدرة على الأتصال بالواقع لكن في بعض الحالات المتأخرة ممكن إن الإكتئاب والضغط النفسي يدفعه لإرتكاب أعمال عدوانية أو ردود أفعال سريعة وعنيفه ومتهورة.

- أنا مش عارف أشكرك إزاي يا دكتور عابد .. تعبناك معانا.. لكن كنت محتاج إني أسمع معلومات زي دي من شخص بعيد عن القضية تماما ..

***

في صباح اليوم التالي بدأ الرائد أحمد باستدعاء الدكتور شوكت مدير المصحة ..

- صباح الخير .. حضرتك طلبتني ..
- أهلا دكتور شوكت .. صباح النور .. اتفضل
- شكرا سيادة الرائد ..
- أنا عايز أسألك عن الشخص اللي اكتشف وقوع الجريمة ؟
- اللي اكتشف الجريمة ..الشيف محمود وفاطمة الممرضة .

هنا ضرب الجرس ليدخل شريف معاون المباحث :

- استدعي الشيف محمود والممرضة اللي اسمها فاطمة من المصحة.. بسرعة
- حاضر يافندم

عاد ببصره الي الدكتور شوكت قائلا :

شوف يا دكتور .. أنا عايز أعرف منك كل شيئ بالتفصيل من وقت دخول محمود ضرغام المصحة ليوم اكتشافكم موته ..كل شيئ وأي شيئ ..حتي لو بسيط وتافه من وجهة نظرك ممكن يفيد القضية .

- تحت أمرك يافندم ..
- في البداية عايز أعرف ليه الفخامة المبالغ فيها دي في بناء مصحة نفسية ..مفترض إن النزلاء فيها مش هتعنيهم الفخامة دي بقدر جودة العلاج النفسي اللي بيتلقوه ولا إيه ؟

- انا اشتغلت في مصحات نفسية علي أعلي مستوي طبي في أماكن مختلفة من العالم .

رسالة الدكتوراه حصلت عليها من جامعة هارفارد وهناك اتعلمت إزاي بيهتمو بالمريض النفسي بجد ..!

- أيوه ..بس مش لدرجة إن المصحة تبقي سبع نجوم كده.!

- المريض النفسي في الأسرة الفقيرة بيتقال عليه مجنون وبيودوه مستشفي الأمراض النفسية لما حالته تدهور وبيعتبر في حالتهم وصمة عار علي العائلة ككل .. أما في حالة العائلات الكبيرة والغنية .. المرض النفسي بالنسبة لهم زيه زي الانفلوانزا.. هما بيكونوا غالبا علي قدر عالي من الثقافة اللي تهيئ لهم قبول فكرة إن فرد منهم في حاجة الي استجمام نفسي .. وبيتعاملو مع المصحات النفسية زي ما بيتعاملوا مع أماكن الاستجمام والراحة والفنادق .. بالتالي هما بيحتاجو درجة معينة من الفخامة ..لأنهم مستعدين يدفعو كتير قوي عشان يحصلو علي درجة عالية من الرعاية الطبية والإقامة في سرية تامة .. ناهيك عن إن أي فرد منهم ممكن يصاب بمرض نفسي شديد أو له أثر عميق ..أو خطير مثلا ..

- ومحمود درغام كان من الناس دي طبعا ..؟!

- محمود ضرغام رجل أعمال معروف ..مشاريعه في كل مكان .. وشخصية عامة .

- طيب مش غريب إن شخصية عامة زي محمود ضرغام يسلم هو وأسرته إنه مريض نفسي لدرجة إنه يكون محتاج إنه يكون نزيل في مصحة نفسية ..!

- بالعكس .. السرية التامة اللي بتشمل جميع نزلاء المصحة والرعاية الطبية الممتازة والإقامة الفاخرة الموجودة فيها تشجع أي شخصية عامة زي محمود ضرغام إنه يكون موجود في المصحة وهو مطمن ..

- أنا اقصد أسألك عن درجة حالته المرضية ..هل كانت محتاجة إنه يكون في مصحة ..؟

- محمود ضرغام كان بيتعالج من الصرع والعصاب ودي أمراض السمة الظاهرة والغالبة فيها هي التشنج والإضطراب النفسي .. اكتئاب ، خوف ، غياب الشعور بالعواطف والأحاسيس تجاه أسرته وأقرب الناس ليه ،وساوس وشكوك لا أساس لها بالمرة.

- وهو كانت درجة المرض ده عنده واصلة لفين ؟

- لما وصل المصحة كان عنده شلل .. وكان بيتحرك علي كرسي

- طيب ليه متعالجش عضويا طالما كان عنده شلل ؟

- المرض النفسي كان هو سبب إصابته بالشلل ..ودي بتكون مرحلة متقدمة ..المريض فيها بيصاب بشلل في عضو معين في الجسم بدون ما يكون له سبب واضح.

- والشك اللي اتكلمت عنه تقصد بيه إيه ؟

- يعني ممكن يخاف من أشياء ميتخافش منها أو تحس ان الجميع ضدك .. أو حد عايز يقتلك أو يضرك .

- مراته هي اللي جابته المصحة ؟

- أيوه ..

- يعني ممكن جدا يكون مراته وولاده جابوه المصحة الفخمة دي .. خوفا من إنه يفضحهم مثلا ..خوفا علي بريستيجهم ومركزهم الاجتماعي يعني ..

- ده وارد ..

- كان شكله ازاي لما وصل المصحة ..؟

- قبل ما يوصل بيوم جالي اتصال من شخص قال إنه من مكتب وزير الصحة وقال إن فيه شخصية مهمة هتوصل بكره المصحة والمطلوب الرعاية الكاملة والسرية التامة وفعلا في صباح اليوم التالي وصلت رجاء هانم مقبل ومعاها محمود ضرغام ..كان قعيد علي كرسي متحرك وكان واضح عليه الإعياء ..وكلامه كله كان شبه هلوسة .

- وهل بدأ يتجاوب للعلاج ؟

- في البداية كان مصاب بشلل والكشف الدقيق عليه كانت نتيجته الحالة اللي قلت لسيادتك عليها عصاب وصرع من الدرجة التانية .. وبدأنا معاه كورس العلاج ..وفعلا حالته ابتدت تتحسن

يوم بعد يوم مع برنامج العلاج .

هنا تغيرت ملامح الرائد احمد قائلا بغضب :

- بس انت قلت لي قبل كده ان حالته كانت تحت السيطرة..؟! ده معناه إن مكنش فيه تحسن ؟!

- التحسن وقف تماما بعد ما قدر يتعافي من حالة الشلل اللي كانت عنده ..يعني قدر يقف علي رجله ويمشي ويتصرف زي أي شخص في الحركة .. وفعلا حالته المزاجية بدأت تهدي نسبيا وبدأ اضطرابه يقل تدريجيا وثباته الإنفعالي بقي أعلي من وقت دخوله للمصحة ..التحسن ده متمش في فترة قصيرة ..بالعكس ده تم تدريجيا خلال ست شهور .

- دي مش إجابة سؤالي .. إزاي حالته اتدهورت تاني لدرجة تخليكم تحطوه تحت السيطرة ..؟

- مفيش سبب واضح ..في يوم نزل تكسير في غرفته بالكامل وكان في حالة هياج عصبي غير عادي .. بعدها تعدي بالضرب علي الدكتور أمجد فكري الطبيب المشرف علي حالته بدون سبب واضح وبدأت ردود أفعاله تكون عدوانية أكثر.. وده شيئ شخصناه علي إنه انتكاسة في علاجه فابتدينا نخليه Under Control

- مين كان بيزوره ؟

- مفيش حد غير ولاده ومراته فقط لا غير

- مفيش أصدقاء ..معارف

- الأصل في المصحة عندنا هو السرية التامة .. بالتالي معتقدش إن فيه حد يعرف إنه موجود في المصحة ..

- ده معناه إنك بتقول إن اللي قتله شخص من المصحة بما إن مفيش حد من برا المصحة يعرف إنه نزيل عندكم ؟

تلعثم بوضوح :

- لا طبعا .. إنا مبتهمش أي شخص داخل المصحة بارتكاب جريمة زي دي .. كل اللي بقوله إن خبر وجوده في المصحة مخرجش مننا لأي شخص ..ومتلقناش أي طلب بزيارته من أي شخص تاني غير مراته وولاده فقط لا غير .

حك الرائد أحمد أسفل ذقنه بخنصره ثم قال :

- طيب تقدر تتفضل دلوقتي يا دكتور ..

اكيد هحتاجك تاني ..

- شكرا لحضرتك وتحت أمرك في أي وقت ..

***

أتي صوته عميقا وهادئا عبر الهاتف :

- الورق مش موجود في أي مكان تاني ..أكيد عندك

كانت ماجدة الشماع مديرة مكتب محمود ضرغام تجلس علي مكتبه ممدة رجليها العاريتين علي الأوراق الموجودة فوق المكتب وهي تداعب خصلات شعرها المنسدل في صخب وتتحدث في هاتفها المحمول :

- أنا قلبت الدنيا ومفيش حاجه هنا ..

- ماهو مفيش مكان تاني .. الورق موجود في خزنة المكتب.. يا في خزنة البنك .. دوري عندك كويس

في هذه الأثناء دخل الشاب أحمد ضرغام الإبن البكري لـمحمود ضرغام ثم أبطئ خطوته عند الباب عندما رأي ماجدة الشماع في هذه الوضعية في استغراب ..

فانتفضت ماجدة محاولة إنهاء المكالمة ..رمقها بنظرة ثاقبة.. وتقدم بهدوء الي المكتب .. تنهد في ضجر :

- إنتي مش علي مكتبك ليه ؟

- أبدا .. كنت في انتظار حضرتك

- خير

- فيه بعض الأوراق المهمة لازم تتمضي من حضرتك ..

أشار لها وأمسك قلما :

- لازم كل شيئ يمشي زي ما كان وأحسن .. إنتي مديرة مكتب بابا وأكيد تعرفي كتير عن الشغل ولازم أقعد معاكي عشان أفهم أمور كتير كانت بتحصل ومش فاهمها ..

- أنا تحت أمر حضرتك في أي وقت .
- اتفضلي إنتي وأنا هطلبك .

***

بدا علي الممرضة الاضطراب والقلق وهي تدخل مكتب الرائد أحمد للمرة الأولي حيث طلبها .. فالمرء لا يري قتيلا كل يوم ! .. وقفت في مواجهته حيث سألها :

- قوليلي يافاطمة ..اكتشفتي إزاي إن محمود ضرغام إتقتل..؟

بلعت ريقها بصعوبة واستطردت في توتر :

- أنا كنت ملازمة للشيف محمود في مروره علي الغرف كعادتنا صباح كل يوم .. وزعنا الفطار علي كل الغرف في الدور ..لحد ما وصلنا لغرفة ١١١

- جميل يا فاطمة ..كملي متخافيش ..

- خبطت ع الباب كالعادة أكتر من مرة ..لكن أستاذ محمود مردش عليا ..ففتحت الباب ودخلت بهدوء والشيف محمود كان ورايا بعربية الأكل ..

- لاحظتي أي شيئ غريب لما دخلتي ..؟

- لا خالص .. النور كان مطفي والستاير كانت مقفولة .. رحت للستاير كالعادة وفتحتها وأنا بنادي علي أستاذ محمود .. في اللحظة نفسها كان الشيف محمود نزل السيرفيز علي الكومودينو.. لما فتحت الستاير التفت لمحمود بيه فلقيته مربوط من إيديه ورجله في السرير فصرخت وخرج الشيف محمود يزعق وينادي علي الدكتور مدير المستشفي ..

- هل البلكونة كانت مفتوحة لما دخلتي ؟
- لأ ..كانت مقفولة ..أنا اللي فتحتها
- هل لاحظتي أي آثار لأي شيئ علي الأرض ؟
- آثار زي إيه ؟
- أي حاجه غريبة
- لأ.. كل شيئ كان طبيعي زي كل يوم .
- طيب هل قربتي من جثة أستاذ محمود ؟
- لأ طبعا مقدرتش ..أنا فضلت أصرخ ومعرفتش أعمل أي شيئ تاني غير كده ..
- طيب اتفضلي إنتي

خرجت فاطمة ليدخل الشيف محمود بدوره الي الرائد أحمد :

- أنا عايز تفاصيل عن اللي حصل
- يا بيه والله ما لينا دعوة بالموضوع ..
- إنت اكتشفت الجريمة إزاي ؟
- انا دخلت مع فاطمة ..علي ما فتحت الستاير ونور ربنا دخل الأوضة ..شفنا شكل محمود بيه فخرجت جري أنادى علي المدير والدكاترة ..ومدخلتش الأوضة تاني ..
- ملمحتش أي شيئ غير مألوف .. ؟
- لأ
- الباب طيب تفتكر كان مقفول ولا مفتوح ؟

- كان مقفول ..لأن فاطمة خبطت أكتر من مرة قبل ما ندخل ..

- طيب البلكونة ؟

- كانت مقفولة بس نور الحمام كان والع ..!

- والباب كان مقفول ولا مفتوح ؟

- كان مفتوح ..

- طيب وده غريب في إيه .. أكيد أستاذ محمود نسي يقفل الباب والنور لما خرج من الحمام ..عادي يعني كلنا بيحصل مننا ده ..!

اللي اعرفه عن محمود بيه إنه كان بيخاف من النور وكان دايما بيدخل الحمام والنور مطفي .. وحتي التلفزيون كان بيتفرج عليه في الضلمة ..!

- طيب شكرا يا عم محمود ..اتفضل إنت .

غادر الشيف محمود مكتب الرائد احمد ليدخل نادر ومحمد عبد السلام الطبيب الذي أعد تقرير المعمل الجنائي .

تناول أحمد التقرير قائلا :

- ايه الاخبار يا عبد السلام

- التقرير المبدئي إن المجني عليه مات مسموم .. السم لسه مش معروف ..شغالين علي تحليله من بقاياه الموجودة في المعدة.. لكن المثانة كانت فاضية وده معناه إنه مشربش ماية

لفترة طويلة.. أو إن السم ده بيسبب نوع من الجفاف في الجسم ككل ..لأن فيه جفاف في الفم والبلعوم والجلد, وواضح إن المجني عليه مر بلحظات من الهياج العصبي, درجة حرارة الجثة مرتفعة علي غير المعتاد ..كمان لاحظت اتساع في حدقة العين..

- يعني اتسم عن طريق الأكل ؟

- لأ ..الأكل كان سليم ..والأطباق كمان سليمة ونضيفة .. غالبا اتحقن بيه ..!

- اتحقن بيه ..!!

التفت الي نادر :

- المجني عليه كان في غرفة ١١١

- بالضبط ..

- غرفة رقم ١١٠ فيها أحمد بركات رجل أعمال .. عنده شلل نصفي ومبيتحركش من السرير نهائي .

وغرفة ١١٢ فيها محمد سيف وده خرج من المصحة قبل وقوع الجريمة ب١٠ أيام ..أسرته سفرته لندن للعلاج والإستجمام . .

قاطعه عبد السلام :

- السم ده إتحقن في الوريد مباشرة .. أثر الحقن ظاهر علي وريد ذراع المجني عليه الأيمن .

- تفتكر يعني إن حد من النزلاء ؟ كلهم رجال أعمال ..مش ممكن يكون حد بيصفي حسابات قديمة معاه ؟

- لأ ..مفتكرش .. واضح من اختيار نوع السم إن الشخص اللي نفذ الجريمة مش مجرد نزيل في مصحة أو رجل أعمال بيصفي حسابه .. كان ممكن يحقنه بحقنه هوا .. أسهل ..لكن واضح من خطوات الجريمة إنها مدبرة ومترتب لها كويس قوي

هنا تكلم نادر :

- الغريب ان المصحة نفسها مصممة علي أساس السرية ويستحيل حد يدخلها من برا ..إلا بعلم القائمين عليها ..

- استدعي لي مدير المستشفي والطبيب المشرف علي الحالة دي يانادر ..

- تمام يافندم ..

ثم استطرد أحمد :

- أنا عايز أسأل سؤال .. إزاي مصحة بالفخامة دي وبالتصميم ده وبالبوابات والأسوار العالية دي ..يدخلها حد من برا المصحة ويعدي البوابات الداخلية الإليكترونية كمان ويطلع الدور الخامس من غير ما حد يشوفه !!؟

الموضوع ده مش مريحني ..!

ثم التفت الي عبد السلام الذي عقد يديه في تركيز :

- عايز تقريرك التفصيلي بأقصي سرعة ..

وهم بالخروج .

***

في فيلا محمود ضرغام بالمعادي كانت أسرته تتقبل العزاء .. امتلئت الفيلا بالمواسيين ..رجال أعمال وفنانين ..وجهاء من مختلف قطاعات المجتمع ..

دخل الرائد أحمد..استقبله أحمد إبن محمود ضرغام ..

- البقاء لله ..
- الدوام لله يافندم ..
- أنا عارف إن الوقت مش مناسب لكن أنا محتاج أدخل غرفة مكتب الوالد .. وياريت لو أتكلم مع رجاء هانم شوية .
- اتفضل من هنا .. لو سمحت

بعد دقائق دخلت رجاء هانم فوقف الرائد أحمد مقبلا عليها :

- البقاء لله يافندم
- شكرا سيادة الرائد .. اتفضل .. ياريت تكون فيه أخبار جديدة
- الحقيقة يارجاء هانم هو فيه فعلا أخبار لكنها مش سعيدة للأسف..

انتبهت إليه فاستطرد وهو يقف :

- أستاذ محمود مات مسموم .. التقرير الأولي للتشريح أثبت إن كان فيه بقايا سم في معدته ..وجاري دلوقتي عمل التحاليل الازمة لمعرفة نوع السم والتوصل للجاني ..

ردت بإنفعال وهي تبكي :

- مش هيفرق سيادة الرائد السم نوعه إيه .. المحصلة واحدة ..محمود مات مسموم

- عشان كده أنا هنا النهاردة يا فندم .. أنا محتاج أعرف من حضرتك كل صغيرة وكبيرة عن حياة أستاذ محمود .. هل ليه أعداء ولا لأ ..هل بتتهمي حد معين بالجريمة ولا لأ.

- محمود كان ليه منافسين كتير .. لكن أعداء أعداء .. أكيد معرفش حاجه زي دي ..

- رجاء هانم اسمحي لي .. أستاذ محمود كان رجل أعمال ناجح وشخصية عامة معروفة للجميع ..وغالبا في القضايا المشابهة للقضية دي بيكون دافع القتل يا من المنافسة الشرسة في السوق يا بوجود عامل نسائي يا شراكة تحولت لصراع والجملة الشهيرة اللي بنشوفها في الأفلام ..يا أنا يا إنت علي وش الأرض ..

في حالة أستاذ محمود .. مفتكرش إن العامل النسائي هيكون له وجود بسبب وجوده في مصحة نفسية لمدة ٦ شهور متصلة .. يبقي أنا مفيش قدامي غير حياته العملية ..البيزنس ..!

- أنا مش عارفة ممكن أفيدك إزاي .. أكيد مش هتأخر في أي شيئ يفيد سير التحقيقات ..

- طيب يارجاء هانم .. انا كنت عرفت من مدير المصحة إن حضرتك اللي دخلتيه المصحة .. ده صحيح ؟

- أيوه ..

- طيب مش غريبة إن رجل أعمال ناجح كده زي أستاذ محمود يصاب بمرض نفسي وينتهي بيه الأمر نزيل في مصحة نفسية ؟

- ده اللي حصل .. الموضوع بدأ معاه بتوتر شديد وعصبية مستمرة .. وكوابيس ..وأرق طول الليل .. وأحيانا كان بيفضل صاحي بالأيام ..!

- هو كان بيعاني من أي مرض عضوي ؟

- لأ خالص .. محمود طول عمره رياضي وبيحافظ علي صحته ..!

- طيب هل كان بيعاني من ضغوط معينة ..في البيت ..في الشغل ..؟ مشاكل من أي نوع ..؟

- مش قادرة أفتكر واقعة تحديدا .. لكن البيت مكنش فيه ضغوط من أي نوع .. يمكن في الفترة الأخيرة قبل دخوله للمصحة كان قرب قوي من دائرة السلطة ..وده كان مسبب له ضغوط كبيرة في شغله .

- يعني إيه قرب من دائرة السلطة ؟

- محمود كان بيشارك ناس كتير .. أعضاء مجلس شعب .. ورجال أعمال ..

- مين أبرز إسم كان شغال معاه ؟

- دكتور محمود ثابت

- وزير الإسكان مرة واحدة ..! ده كدا قرب فعلا ..وقرب قوي كمان .. ماهم كلهم بيكرو بعض ..وزير الإسكان يكر معاه وزير الصحة .. علي البيئة .. علي الزراعة ..

- بتلمح لإيه بالضبط ؟

وقف الرائد أحمد قبالة المدفئة التي كانت تتوسط الصالون .. وهو يتأمل صورة إعتلت المدفئة .. كانت تجمع بين أربعة أشخاص في رحلة لصيد البط .. كان يتوسطهم محمود ضرغام وعلي يمينه محمود ثابت ..وأشرف العيسوي وزير الري وآخران .

***

الفصل الثالث
الإتروبين

هؤلاء الذين ينغمسون في الفعل
نفسه ..قد يزهدونه لأنهم يعتادون
مدي روعته.
(اسلام فتحي)

دخل الرائد أحمد ومعه زميله نادر الي المشرحة بخطي هامسة .. كانت الساعة قد جاوزت التاسعة مساء بدقائق .. كان عبد السلام يعمل في صمت يطبق علي المكان ليحوله إلي مشهد موحش .. سجل بعض الملاحظات في ورقة كان يكتب فيها عندما لاحظ وجود أحمد ونادر ففزع من غفلته وهو يرمقهم بنظرات الغضب قائلا :

- قلتلكم ١٠٠ مرة متتسحبوش زي الحرامية كده وأنا شغال.. إنتم في مشرحة .. مش في طرقه بيتكم (هي المشرحة ناقصة قتلى)

ضحك أحمد ونادر ثم أردف نادر :

- أخبار السم إيه ؟

هز عبد السلام رأسه نافيا :

- لسه مش سهل ..

فاستقبل أحمد الكلام :

- والبصمات ..

حرك عبد السلام سبابته في استطراد لدهشته :

- هنا بقي اللغز ..! فيه ٩ بصمات موجودين في نواحي مختلفة من الغرفة ..

فأقبل أحمد في اتجاهه :

- ممتاز .. مفيش أي بصمات او أي شيئ تاني في الغرفة حتي لو بسيط وتافه ..

- ده شغلي يا سيد أحمد .. هو انت يعني أول مرة تشتغل معايا علي جريمة قتل..

- نادر .. عايزين نعرف بصمات مين دي الأول في أسرع وقت ..

- اعتبر ده حصل ..

قطع عبد السلام حديثه :

- فيه شيئ غريب في الجثة ..!

- إيه هو ؟

- فيه إتساع ملحوظ في حدقة عين المجني عليه وجفاف في الحلق والفم.. وبالفحص ..اكتشفت أثر لمادة بتحليلها ..وجدت إنها مادة الأتروبين ..

ثم سكت وهو ينقل النظر بينهما ثم أردف:

- المادة دي بتستخدم كمضاد للتشنج.. وده شيئ مهم ..لأن المريض كان بيتعالج من الصرع ..

- تقصد تقول إن الجريمة تمت من خلال المادة دي ؟؟

- ده إحتمال وارد يؤخذ في الحسبان ..لكنه مش الإحتمال الأقوي ..

- ليه بقي إحتمال ..وليه مش الأقوي .. هتحيرني معاك ليه؟

- احتمال وارد ..لإن الأتروبين مادة سُمية لو زادت جرعتها.. يعني ١٠٠ ميليغرام من الأتروبين تعتبر جرعة قاتلة ..!

عقد أحمد يديه وهو يسأله :

- طيب وليه مش الإحتمال الأقوي ؟

- لأن فيه أثر لمواد تانية .. زي Diazepam أو الفاليوم زي ما معروف وكلوربرومازين Chlorpromazine ودي مواد بردو بتستخدم في علاج الهياج والتشنجات والهلوسة.. فكل اللي أقدر اقولهولك إن تواجد المواد دي في جسم المجني عليه قد يبدوا طبيعي لحد دلوقتي لأنه في النهاية كان مريض نفسي ..فطبيعي نلاقي مهدئات ومضادات للإكتئاب والهلوسة .. !

- إنت لخبطتني ياعبد السلام .. دلوقت إنت بتقول إن فيه أثر لمادة سمية ..يعني وارد يكون التسمم حصل بسببها

قاطعه :

- كل المهدئات لو زادت جرعتها عن حد معين بتتحول لسموم قاتلة .. ودرجة سميتها وفتكها بيختلف بإختلاف نوع المهدئ وتركيزه ..

أكمل أحمد وهو يركز بصره عليه :

- وفي الحالة دي هيكون الإتهام موجه لشخص ما من المصحة ..سواء قتله بدافع شخصي أو كان مأجور عشان يقتله .. خصوصا إن دخول المصحة كمان مش سهل ..فوارد جدا إن يكون فيه شخص مستأجر ..حد دافع له عشان يقوم بالمهمة دي ..وهو كده كده بيدخل المصحة كل يوم أو مقيم فيها ..فمش هيكون

موضع شك من حد ..!

هز عبد السلام رأسه :

- تمام كده .. ده إحتمال

- وفي نفس الوقت بتقول إن فيه مواد تانية في جسمه وهي مواد مهدئة ومضادة للتشنج وكونه مريض نفسي بيتعالج من الصرع فوجود المواد دي طبيعي في جسمه .. وبكده تبقي بتنفي الإحتمال الاول ..

- تمام كده ..

فصرخ أحمد محتدا :

- تمام إيه يا أخي ..حرام عليك .. !

***

دخلت ماجدة الشماع مديرة مكتب محمود ضرغام المكتب بعد أن تولي رئاسة المجموعة أحمد محمود ضرغام بعد مقتل والده .. ومعها دوسيه البريد ..

- فيه حجات كتيرة كانت متأخرة بسبب حالة الوالد الصحية .. ومحتاجة توقيع حضرتك .. وفيه عقود شبه متوقفة محتاجة إعادة نظر إن كنا هنكمل الديل ولا لا ..

فتح الملف وهو يقلب في الأوراق :

- انا كده تايه يا ماجدة ..

- حضرتك متقلقش ..أنا كنت دراع محمود بيه اليمين وكل شيئ هيمشي تمام ..

- إيه الورق ده دلوقتي ..

- ده مشروع قرية (لمار) في الساحل الشمالي .. محمود بيه اشتري الأرض وكان من المفترض انه يبدأ الشغل فيها أول السنة الجديدة ..لكن حالته اتدهورت ..والشغل فيها اتأخر .. والبنك باعت بيطلب ضمانات جديدة للقرض اللي محمود بيه كان واخده بعد الحادثة .

- قرض إيه ؟ أنا بابا مجابليش سيرة الموضوع ده خالص ..

- محمود بيه كان واخد القرض قبل ما يدخل المصحة بشهرين تقريبا .. عشان يكمل فلوس الأرض وتكاليف البناء .

- كام القرض ده ..؟

- مليار و٣٠٠ مليون

- نعم ؟ إيه الرقم ده ؟ وهي فين الفلوس دي ؟

- معرفش ..محمود بيه أخد القرض ..لكن مبدأش شغل في المشروع ..

- بس كل حسابات البنوك علي بعضها متكملش الرقم ده.! يعني هيكون وداه فين .. ؟

- ممكن يكون في الفيلا ؟!

- معقولة يعني هيشيل رقم زي ده في الفيلا ؟؟

- أنا بقول يا فندم ..الموضوع ده واضح إن فيه مشاكل كتير .. إحنا نوكل دكتور محمود ثابت في الموضوع وأهو كان صديق الباشا وبسلطته بقي ونفوذه هيبعد عننا وجع الدماغ ويهدي البنك شوية من ناحيتنا لحد ما نعرف هنعمل إيه ..!

- تفتكري أونكل محمود هيوافق .. برده مركزه كوزير للإسكان حساس .. ومفتكرش إنه ممكن يدخل في موضوع زي ده.

- أيوه يافندم ..بس متنساش إنه كان صديق محمود باشا الله يرحمه.. وأكتر من إخوات .. اكيد مش هيسيب حضرتك في المشكلة دي ..!

- مليار و٣٠٠ ألف يابابا .. الفلوس دي راحت فين ..!!

***

دخل نادر ومعه كشف البصمات التي تم رفعها من غرفة المجني عليه في المصحة ووجهه إلي أحمد فبادره بالسؤال بعدم صبر وهو يتناول الملف منه ويفتحه :

- إيه الأخبار

فبدأ نادر يسرد له التقرير وهو يمرر عينيه بين السطور :

- البصمات كلها لأفراد بتشتغل في المصحة .. دكتور شوكت مدير المصحة .. دكتور أمجد فكري ،دكتور أسعد ، فاطمة الممرضة ، الشيف محمود ، هويدة الممرضة ، عاملة النضافة ..رجاء هانم .. وبصمته هو شخصيا ..

- يعني وارد جدا إن يكون مرتكب الجريمة شخص من داخل المصحة نفسها .. بما إن مفيش بصمات لحد غريب ..!

- وارد فعلا ..إلا لو كان المجرم ده محترف وعارف هو بيعمل إيه ..فلبس جاونتي عشان البصمات

- أو متاكد إن حتي لو ساب بصمته محدش هيشك فيه لإنه بيشتغل في المصحة وبيتردد علي المريض بشكل طبيعي ..!

- فعلا ..ده وارد ..

- وبإختفاء بصمته اللي مفروض تكون موجودة بشكل طبيعي هيلفت انتباهنا ..وبوجود بصمته كالمعتاد.. هيشتت انتباهنا لكل الفريق الطبي والمترددين علي الغرفة دي ..

***

أمسك بالصورة التي إعتلت المدفئة :

- مين اللي في الصورة دول ..

ردت رجاء هانم وهي تشير إلي الصورة :

- أصدقاء المرحوم .. دكتور محمود ثابت ودكتور أشرف العيساوي والمستشار محمود جمال الدين

- بس واضح ان الصورة دي كانت من وقت طويل ..

- أيوه فعلا ..

- كانو اصحاب من زمان بقي ؟

- ايوه فعلا أصحاب الشباب

- مين كان أقربهم ليه ؟

- دكتور محمود ثابت

- إشمعني هو ؟

- يمكن الشغل قرب بينهم اكتر ..

- أيوه الشغل ..أنا عايز أعرف كل شيئ عن شغل أستاذ محمود مع دكتور محمود ثابت

- كلامك زي ما تكون شاكك فيه !

- مش بالضبط ..لكن حضرتك قلتِ أنه أكثرهم قربا من أستاذ محمود بسبب الشغل ..فحابب أعرف كل التفاصيل اللي ممكن تكوني عارفاها وتأكدي إن أي شيئ مهما بدا ليكي تافه وبسيط ..ممكن يدلنا ويفهمنا حجات كتير قوي ..

- حاضر .. مفيش مشكلة ..

- اتفضلي أنا سامعك ..

- بعد ما اتخرجت أنا ومحمود من كلية الهندسة ..بدأنا مشروع صغير علي قطعة أرض كان محمود وارثها عن والده الله يرحمه .. (شركة ضرغام للمقاولات).. وبدأنا ناخد أعمال تشطيبات وأراضي ونبنيها لصالح الغير ..لحد ما إتعرف محمود بمحمود ثابت .

- واتعرفو إزاي ؟

- كان فيه قطعة أرض طلب محمود ثابت إننا نبنيها وبعدين عرض علينا نشارك فيها .. ولإن محمود ثابت كان عضو مجلس شعب في الوقت ده ..فكانت فرصة لشغلنا إنه يكبر ..

- تقصدي إنه يقدم لكم تسهيلات يعني ..؟

- حضرتك عارف شغل المقاولات قد إيه متعب وبيتطلب دائما إن يكون عندك علاقات كويسة بشخصيات من مختلف القطاعات .. ومحمود شاف إن شراكتنا مع عضو مجلس شعب هتخلينا نتقدم بشكل أسرع ..محمود كان طموح وطموحه سر نجاحه .

- وشاركتوه ؟

- هو إللي طلب .. بالتالي كانت فرصة إننا نوافق وفعلا وافقنا علي الشراكة ..وبني محمود الأرض .. برجين مميزين..

بتشطيبات فخمة .. وقبل ما الأبراج تنتهي أو تتشطب ..كان محمود باع كل الشقق إلا شقتين .. شقة لينا وشقة لمحمود ثابت.. ونقلنا سكنا للبرج ده في حي مصر الجديدة .. وكانت فعلا نقلة نوعية لينا في حياتنا ..

(الذكي لا يبدد الفرص) ..محمود دايما كان بيقول كده .

- وبعدين ؟

- قدرنا بعد كده إننا نكبر شركتنا وشغلنا ..ومحمود كان علي أتم إستعداد إنه يشتغل ٢٤ ساعة عشان يقدر يوصل للي هو عايزه .. محمود ثابت عرض عليه العرض اللي لا يمكن كان يرفضه وقتها ..

- عرض إيه ؟

- فيه أراضي كتيرة كان العرب بياخدوها وضع يد ..وكان حقها بيضيع وسط النزاعات المختلفة والقانون بيقول (يبقي الوضع كما هو عليه) كانت فكرة محمود ثابت هي تسوية النزاعات دي مع العرب ورد الأراضي لأصحابها لو ليها أصحاب ولو ملهاش أصحاب .. يتم البناء عليها وبيع الأبراج بسرعة وفي الحالة دي لو ظهر في يوم من الأيام للأرض أصحاب يتحول النزاع من ما بين صاحب الأرض والعرب ..لصاحب الأرض وكل ملاك العمارة ووقتها سيبقي الوضع كما هو عليه وعلي المتضرر اللجوء للقضاء.

- ده فكر شياطين ..

- محمود كان شايف إنها فرصه في وقتها .. خصوصا إن كان فيه أراضي كتير شبه مهجورة .. محمود ثابت كمان وقتها أغراه بفريق من المهندسين شغلهم إنهم يتتبعوا كل ما يخص الأرض اللي بتقع عنيهم عليها بدقة متناهية .. زي عليها نزاع ولا لأ .. فيه مشكلة في الكهرباء في المنطقة دي ولا لأ.. الأرض تابعة للدولة ولا لأفراد وهكذا .. وطبعا ده كان شيئ مطمئن .

ثم استطردت بسؤال :

- لكن محمود كان بيشتغل مع ناس كتير بغض النظر مين كان أبرزهم .. فليه بقي عايز تعرف كل شيئ عن محمود ثابت بالذات ..! أعتقد إنه من الطبيعي يكون فيه إسم أو إثنين مطروحين كأبرز الشخصيات اللي تعامل معاها محمود الله يرحمه.. فأفتكر لو هتسأل عن كل اللي اشتغل محمود معاهم بالتفصيل يبقي هنحتاج أيام طويلة نتكلم فيها بس عنهم ..!

تنهد وكأنه لم يكن يود أن يخبرها بما سيقول :

- رجاء هانم .. إحنا حرزنا كل المتعلقات الخاصة بأستاذ محمود من غرفته في المصحة ..وكان من بينها مفكرة ولاب توب .. اللاب توب في المعمل الجنائي بيرفعو البصمات من عليه لإن عليه أكتر من بصمة متداخلة ..وبيفك شفرة الدخول ..واضح ان المرحوم كان بيفتح اللاب توب ببصمة صوتية .

ثم أشار بيده وهو يرفع حاجه في تعجب :

- وأكيد حضرتك مقدرة مدي إندهاشي من الموضوع ده .. مريض نفسي بيفتح الاب توب ببصمة صوتية!!

- ده رجل أعمال معروف وليه مركزه ..إن كان قادر إنه يفتح الاب توب اللي غالبا عليه ملفات شغل سرية ببصمة صوته بالدقة دي يبقي أكيد حالته مكنتش تستدعي وجوده في مصحة مع منع الزيارة كمان ..!! ده شيئ مهم عايز من حضرتك تفسير ليه .. لكن إستكمالا لحديثنا ..الشيئ اللافت ..إن المفكرة كان مكتوب فيها جمل مختلفة وغريبة وعناوين وأرقام تليفونات .. كأنه لغز .. لسه متوصلناش منه لحاجة ..!

- لكن الشيئ اللي اتكرر هو إسم محمود ثابت .. في الحقيقة أنا مكنتش أعرف ان هو الوزير بتاعنا .. لكن من حديثي مع حضرتك فوجئت بإنه هو فعلا وزير الإسكان .. عشان كده محتاج أعرف من حضرتك معلومات عن علاقتهم ببعض وعن شغلهم .. مين عارف أي معلومة ممكن تفيد .

- مطت شفتيها بإمتعاض :

- حاضر لكن تقصد بإيه إنك عايز مني تفسير لتصرفات محمود ؟

- هل حضرتك شايفة إن دي تصرفات مريض نفسي ؟! تصرفاته بالدقة دي وتمييزه للأشياء بالذكاء ده حد إنه يكتب جمل مركبة زي دي ..

وأخرج المفكرة من جيب معطفه وهو يفتحها ويقرأ بصوت مسموع بنبرة تسائل حادة :

(أصبحت لا أري الحد الفاصل بين السلطة والمال .. كل شيئ يمكن أن أشتريه ..هكذا كنت أظن .. أنني ملكت الكون .. الآن أنا علي شفا حفرة من النار .. حتما سأقتل..أو سيشهر بي ..!!)

ثم أغلق المفكرة بإنفعال وهو يعود بها إلي مكانها في جيب معطفه قائلا :

- فسري لي الجمل الموزونة دي .. كان عارف إنه هيتقتل.. أو هيتشهر بيه ..!

- ممكن حضرتك تهدي ومتنساش إني أرملة محمود إللي بتتكلم عنه ده .. ويكون في علمك إن محمود هو بنفسه إللي طلب إننا ندخله المصحة .. وتصرفاته كانت في غاية التمييز ناهيك إلا عن بعض حالات الصرع والتوتر الزائد اللي كانت بتجيله ..

إلتفت إليها مشيرا بسبابته :

- ماهو هو ده بقي السؤال ؟

بلعت ريقها في إمتعاض :

- محمود كان خايف صورته تتهز في السوق .. وحضرتك

عارف إن سوق البورصة بيطلع وبينزل بالإشاعات

- ده من باب أولي إنه يسافر مثلا برا مصر ..أو إنه يقعد في بيته ويخلي إبنه يباشر الشغل مش يدخل مصحة !

- ماهو هو ده نفس السبب اللي خلي محمود يقرر دخول المصحة دي لما فيها من سرية ورعاية ..

- مين اللي إقترح المصحة دي ..!؟

- د/ محمود ثابت

- تاني محمود ثابت .. !

وقف قباله المدفئة وهو ينظر الي الصورة التي تجمع بين محمود ضرغام ومحمود ثابت مغلقا راحة يديه الي بعضها باسطا أصابعه الي فمه :

- واضح إن كل الطرق تؤدي إلي .. محمود ثابت .

***

جلس اللواء أيمن مسعود مدير المباحث الجنائية علي مكتبه وهو منفعل :

- ياسيادة الرائد هتستجوبه تقوله إيه ؟ إنت عايز تفتح علينا أبواب جهنم ؟

- يافندم .. كل الخيوط بتوصلنا ليه في النهاية .. هو اللي نصح بإنه يروح المصحة دي بالذات .. شغلهم مع بعض .. هو ضلع في القضية دي .. لازم أتكلم معاه ..

- كل ده شيئ عادي .. ووارد جدا إنه يحصل مع أي حد.. يعني إيه هو اللي رشح المصحة دي .. عادي يا إبني ..ممكن إنت دلوقتي تسألني عن مستشفي كويسة أرشح لك مستشفي أعرفها..لو حصلك فيها بعد كده مصيبة ..يبقي أنا السبب ؟؟ ده شيئ غريب والله

- يافندم ..

قاطعه بحزم :

- الموضوع ده انتهي يا سيادة الرائد ..ياريت تشيل سيادة الوزير من دماغك .. ده وزير يا إبني ..

- مفيش حد فوق القانون يا فندم

- انت بتغالي عليا ؟؟ بتديني دروس في الوطنية حضرتك ؟ جيب دليل قاطع علي إتهامه بشيء وبعد كده طبق القانون .. لكن الخرافات اللي في دماغك دي مش هتجيب لنا غير المشاكل

ليس إلا ..

تنهد في يأس :

- أوامر سيادتك يا فندم .

***

الفصل الرابع
الخيط ..!

ارتفع صوته وهو لا يزال جالس علي مكتبه :

- أنا عايز أفهم بقي .. مش إنت الدكتور المعالج لمحمود ضرغام والمشرف علي حالته ؟

قال في توتر إثر صوت الرائد أحمد المرتفع :

- أيوه يافندم ..دكتور أمجد فكري

- طيب فسر لي بقي تصرفاته ..؟ دي تصرفات مريض .. !

- حضرتك تقصد إيه ..؟

قام من مكانه وهو يتجه نحوه بصوت حاد :

- إنت فاهم قصدي .. متستعبطش .. أنا عندي إحساس قوي إن محمود ضرغام مكنش عيان ولا حاجه .. والحوار كله هيطلع فاكس !

- يافندم أستاذ محمود كان بيتعالج من ٦ شهور في المصحة من الصرع والعصاب .. توتره الزائد عن الحد وشكه الغير طبيعي في كل اللي حوليه ..

- حلو .. دا رجل مريض .. أعصابه تعبانة ..وبيعاني من كل الأعراض اللي إنت بسم الله ما شاء الله حافظها دي .. إزاي بقي يبقي قادر إنه يميز الباسورد اللي بيفتح بيه اللاب توب بتاعه لا وإيه ..ببصة صوته !!

- يافندم دي أعراض فصلية ..! يعني مش مستمرة مع المريض خصوصا إنه بياخد علاج وموجود في المصحة طول الوقت

تحت الملاحظة ..!

- أيوه ..فسر لي اللي بتقوله ده ..

- يعني يافندم .. هو بتجيله الأعراض في أوقات ..وأوقات تانية بيكون طبيعي جدا زيه زي أي شخص لا يعاني من أي شيئ.. وفي الأوقات دي يقدر يمارس حياته بشكل طبيعي جدا من غير أي تأثير ..

- طيب إن كان الموضوع كده بقي ليه مكملش علاجه في بيته ؟

- أنا معرفش طبعا .. كل اللي أعرفه إنه نزيل في المصحة .

أشار له بيده ليستمر في حديثه :

- خمن يعني ..

- هو في إعتقادي .. إنه كرجل أعمال مهم ..صعب إنه يظهر بالأعراض دي قدام أي حد في شغله لإن ده هيعمله مشكلة كبيرة جدا ..

- هو ميقدرش يتحكم في عدم ظهور الأعراض دي بالعلاج ؟

- في الحقيقة يقدر .. من خلال المهدئات اللي بياخدها ..

- طيب تفتكر إيه اللي ممكن يجبر رجل أعمال بحجم محمود ضرغام إنه يستحمل عيشة المصحة مع إنه كان ممكن يمارس حياته الطبيعية عادي جدا ويتحكم في الأعراض اللي بتجيله دي بالمهدئات زي ما بتقول ؟

- والله يا فندم معرفش .. كل دي تخميناتي .. مش أشياء مؤكدة .. لكن أعتقد إن المهدئات بتسبب نوع من الخمول والتراخي النوعي في الجسم وده بردو كان هيظهر عاجلا أم آجلا .

- شكرا يا دكتور .. تقدر تتفضل إنت .

فور خروج دكتور أمجد دخل الدكتور محمد عبد السلام ومعه التقرير النهائي عن الجريمة .

تلقفه الرائد أحمد بشغف ..

جلس محمد عبد السلام في أثناء ما كان يفتح الرائد احمد التقرير ويمرر عينيه بين السطور ..

- يعني ايه ؟

قالها وهو يرمق عبد السلام شذرا ..

- البصمات المتداخلة الموجودة علي اللاب توب .. هي لمحمود ضرغام وأحمد إبنه وماجدة الشماع مديرة مكتبه .

أثر الحقن واضح علي الوريد الأيمن .. لكن المواد الموجودة في جسمه كلها مواد طبيعي إنها تكون موجودة زي ما قلتلك قبل كده .. لقينا فعلا الإتروبين وبالتالي طبيعي إن حدقة العين تكون واسعة لإن من آثار أو إستخدامات المادة دي أصلا إنها بتوسع حدقة العين ..!

- إيه تاني ؟ إديني أي خيط ..!!

- لقينا ..!

- لقيت إيه ؟
- قلويد هيوسيامين – وقلويد هيوسين ..!
- وضح ياعبد السلام ..
- دي المواد اللي لاقيناها .. الهيوسين بيستخدم كمنوم !!
- تقصد إنه خد جرعة زيادة منه فمات !؟
- النسبة المئوية لتركيز المادة دي مش طبيعي ..!
- يعني إيه سبب الوفاة ؟؟
- اللي ظاهر قدامي دلوقتي وجود مادة قلويد هيوسيين والأتروبين والهيوسيامين بكمية وتركيز عالي ..
- يعني منوم ؟ ولا سم ؟
- مدام خد جرعة كبيرة من المواد دي يبقي القصد منها إنه يموت أكيد ..لإنها مواد سامة إن زاد تركيزها ..!

المفاجاة .. إن المواد دي مكنتش علي جدول المصحة لعلاج الحالة دي ولا الحالات التانية ..!

- هو معقول حد هيحقن واحد عايز يموته بـ٣ مواد مرة واحدة ؟ دي موتة سبيشيال
- أكيد طبعا لأ لكن المواد دي ممكن تكون موجودة في مادة واحدة ومع تحللها في الجسم تدينا المواد دي ..

ادیني شوية وقت وهعرفلك كل تفاصيل المواد دي .. ده شغل قسم العقاقير بقي ..

- خد وقتك لكن عايز بكره بالكتير أكون عرفت تفاصيل المواد دي ..

- حاضر

***

عقبت رجاء هانم قائلة :

- طبيعي كل الطرق تؤدي لمحمود ثابت في النهاية لإنك بتسأل عن أشياء بديهية .. ده شخص بيجمعنا بيه الشغل والصداقة العائلية كمان ..

- طيب ليه محمود ثابت مع نفوذه كعضو مجلس شعب في الوقت ده وعلاقاته فكر يشارك أستاذ محمود ضرغام ؟ كان ممكن يستقل وكل المكسب هيكون ليه من غير شراكة .؟!

- بالعكس هو مكنش يقدر يعمل الكلام ده لوحده .. إنت عارف النفوذ .. وقانون دائرة الضوء ..!

طول ما إنت موجود في دائرة السلطة والضوء مسلط عليك ..لازم تكون بعيد عن أي شبهة أو بيزنس .. شركة ضرغام هي الظهر.. ومحمود ثابت بحكم موقعه وعلاقاته بدائرة إتخاذ القرار كان بيسهل أمور كثيرة لضرغام عشان يشتغل .. بحكم إنهم في النهاية شركاء ..

الشغل ده نقلنا ونقل محمود ثابت نقله كبيرة .. في نفس التوقيت اللي حصل فيه تعديل وزاري وتم إختيار محمود ثابت ضمن الوزارة الجديدة .

وزي ما قلت لك ..كل ما تقرب من دائرة الضوء ..حرقك بيكون أسهل ..عشان كده كانت كل العمليات الجديدة بتتم بشكل مباشر جدا وواضح جدا باسم محمود ضرغام وعلي الورق مكنش

فيه وجود نهائي لمحمود ثابت .. لكن كان نسبة محمود ثابت المتفق عليها بتوصله كل عملية ..

- كل ده جميل .. ومفهوم إن عضو مجلس شعب أو وزير يخاف من التلسين عليه حتي لو العمليات مشروعة ..هيقولو بيستغل منصبه في التربح وهتبقي ليلة ..

- فعلا ..ده كان خوف محمود ثابت الوحيد .. مع إن كل العمليات كانت مشروعة مية المية ..كل ما هنالك إنه فعلا كان بيستغل منصبه في تسهيل أو تسيير بعض الأمور اللي كان ممكن تاخد وقت أطول شوية في المعتاد وعمولات أكتر شوية عشان تخلص .. والعمولات في لغة البيزنس أمر طبيعي علي فكرة ..

- مفهوم يا مدام .. طيب هو الحقيقة فيه سؤال ملح عليا جدا .. حضرتك قلتي إن محمود ثابت كان شريك أستاذ محمود الله يرحمه .. لكن بدون ما يكون فيه شيئ يذكر أو إثبات علي الورق ..!

- ده صحيح ..!

- طيب كان بيآمن لمحمود ضرغام منين ؟ هي العلاقة بينهم كانت قوية لدرجة إن عمليات بالملايين تتم بكلمة شرف !!

- الحقيقة الموضوع تم بشكل تاني خالص بعيد عن كلمة الشرف رغم علاقتهم وصداقتهم القوية .

- ياتري تم إزاي ؟

- محمود جوزي وقع شيك علي بياض لمحمود ثابت .. وكان الشيك بيسترد بعد كل عملية ..

- يعني إيه ؟

- يعني بمجرد ما تتم العملية محمود ثابت بيرجع الشيك لمحمود ضرغام لإن كان ممكن يقعدو بعدها شهور ومفيش عمليات جديدة من طرف محمود ثابت ..

- واضح إن العمليات كانت كبيرة جدا ..

- فعلا .. لإن كل العمليات كانت في الساحل الشمالي ودي منطقة كانت جديدة والقري السياحية فيها كانت لسه بتقول يا هادي ..وكان لثابت من الأرض هناك نصيب الأسد ..!

***

الفصل الخامس

الثغرة ..

- حضرتك معاك إذن من النيابة بالتفتيش ؟

قالتها ماجدة وهي مرتبكة :

- يعني تفتكري هقوم من علي مكتبي في البرد ده والدنيا بتمطر بره غير وانا معايا تصريح ..

وفرد الورقة أمامها للحظات ثم أعادها ثانية إلي معطفه ..

- طيب ندي خبر لمستر أحمد

- ياستي يوصل بالسلامة علي راحته ..إحنا مش مستعجلين أنا هاخد القهوة بتاعتي معاكي في مكتبك لو سمحتي

قالت بإرتباك وهي تشير إلي الطريق :

- إتفضل حضرتك ..

- ألا قولي لي يا ماجدة .. إنتِ مديرة مكتب محمود ضرغام من زمان ؟

- أيوه . من خمس سنين تقريبا ..

- دي مدة طويلة قوي ..تخليكي عارفة كل حاجه عن الراجل اللي بتشتغلي معاه ..

- في الحقيقة لو في الشغل أيوه ..

ابتسم ساخرا :

- وحياته الخاصة وحياتك ..

- أنا كنت بعرف اللي مستر محمود عايز يعرفه لي يا أحمد بيه ..!

- محمود ضرغام كان ليه أعداء .. ؟
- منافسين أيوه وكتير جدا .. لكن أعداء مفتكرش ..!
- تعرفي دكتور محمود ثابت ؟
- وزير الإسكان ؟؟ طبعا
- كنتي بتشوفيه مع محمود ضرغام ؟
- كنت بشوفه بحكم إنه كان بيفتتح كل القري والمشاريع تقريبا اللي كان مستر محمود بينتهي منها .
- يعني بتشوفيه في الحفلات أو الإفتتاحات بس ؟
- أيوه حضرتك ..
- إسم لمار مبيفكركيش بحاجه ؟
- أيوه .. مستر محمود إختار الإسم ده عشان القرية الجديدة !
- قرية إيه ؟
- قرية جديدة في الساحل الشمالي ..
- طيب ايه القرية اللي بناها مستر محمود قبل لمار ..؟
- توتال بيتش
- دي في الساحل بردو ؟
- أيوه
- طيب أنا عايز ملف القرية دي .
- حاضر ..

بعد لحظات كان الرائد احمد وزميله نادر يجلسان في مكتب محمود ضرغام ويقلبان في العديد من الأوراق ..

لم يكن هناك شيئا لافتا في بداية الأمر .. كلها مخالصات تتعلق بمساحة الأرض وحجم البناء عليها والرسومات الهندسية لمباني القرية والشاليهات الفندقية الخاصة والفلل الخاصة برجال الأعمال والعرب.

رسومات توحي بالفخامة الغير عادية .. ومخالصات لأوراق إستئجار المعدات من شركات مختلفة منهم شركة سويسرية وشركة فرنسية وعثمان أحمد عثمان ..

تنهد الرائد أحمد بملل وتوجه بكلامه إلي نادر :

- مش معقول طبعا هنلاقي أي ورق يقول إن فيه شراكة في أي عملية بين ضرغام و ثابت .. أكيد هما مش بالغباء ده .. كمان مدام رجاء قالت لي إنهم ممكن ميشتغلوش مع بعض شهور .. ممكن ده يكون بسبب التمويه مثلا ..أو إن العين متبقاش عليهم

- ده وارد طبعا ..خصوصا مع حساسية مركز محمود ثابت

- وده معناه إننا مش هنعرف هما كانو شركاء في أي عملية من كل العمليات اللي كانت بتقوم بيها مجموعة شركات محمود ضرغام .. !

- ده صحيح ..ومع عدم وجود أوراق تفيد بالشراكة فكل شيئ هيكون في طي الذاكرة لمحمود ضرغام نفسه ..وبموته هتكون

ماتت معاه ..

هو إنت ليه متأكد إن محمود ثابت ليه علاقة بالقضية ؟

- لأن شغلهم بالطريقة دي يانادر محل خلاف أكيد .. وأي شغل فيه قلق بالشكل ده ممكن يكون فيه صراع .

- مش شايف إنها غريبة إن مدام رجاء تحكي حاجه زي دي؟

- يمكن خايفة .. لكن الأغرب اللي لسه محكتهوش .. كون إنها تحكي عن شراكة محمود ثابت بمحمود ضرغام أكد لي إن شكوكي في محلها وإنها شاكة إن ثابت ليه علاقة بالقضية فبتقول لي الموضوع بس بطريقة غير مباشرة ..!

رفع نادر نظره لأحمد وهو يقاطعه :

- شوف العقد ده .. ؟

تناوله أحمد وهو يسأل :

- عقد إيه ؟

- ملكية الأرض ..

- وإيه الغريب فيه ...؟

- شوف السعر كام ..!

- جنيه وربع للمتر ؟!! إيه العبث ده .. ؟!

تحدث نادر بحماسة :

- أراضي بالمساحات دي ..محمود ضرغام إشتراها من الدولة

بجنيه وربع للمتر .. مين بقي اللي سهل له الموضوع ده وخصصها له ؟ دي حاجه كده مش أقل من وزير يعرف يعملها ..!

- إنت قصدك إن العملية دي كان ثابت شريك فيها ..؟!

- ده أكيد يافندم ..

في هذه الأثناء دخل أحمد محمود ضرغام المكتب ..

- صباح الخير سيادة الرائد ..

- أهلا أحمد بيه ..

- ممكن أعرف فيه إيه ؟ بتدورو علي إيه في أوراق الشركة؟ يعني القاتل هيكون مستخبي في درج من أدراج المكتب مثلا ؟

- إحنا معانا إذن نيابة بالتفتيش .. وعموما إحنا خلصنا خلاص .. بس هناخد الملفات دي عشان نكمل إطلاع عليها ..

- بس دي أوراق صفقات للشركة ووجودها هنا أمر حتمي

اقترب الرائد أحمد منه حتي أصبحا وجها لوجه :

- وإننا نعرف مين اللي قتل والدك مش أمر حتمي ..؟!

رمقه بنظرات توتر في صمت قبل أن ينصرف ..

***

هؤلاء الناس لا يشعرون بما يشعر به المواطن البسيط .. هل جرب أي وزير أو سياسي منهم تجربة شاب لا يجد قوت يومه أو وظيفة تضمن له حياة كريمة ..

جنيه وربع !!

(ليه ترابك بيغلي ويعز علينا ..وإحنا اللي بنتغطي بيكي .. وبنتحامي فيكي وبتتحامي فينا ..!)

تُري هل إختارني القدر لأحقق بعض العدل الذي غاب في دولة علاها الفساد ..!

من سيسمح لي بالإقتراب من تلك المناطق المحظورة ؟!

إن مجرد حديثي عن الدردشة مع (وزير) سبب هلع مدير الإدارة.. هل أجرؤ علي كسر تلك الحواجز ..!

وأني لي ذلك في منظومة لا تأبه للعدل ..إن سرق الوزير فيهم تركوه وكرموه ورفعوه وإن سرق الضعيف فيهم جلدوه وأهانوه ..

لن أجسر علي الإقتراب من تلك المناطق المحظورة إلا بدليل قاطع..!

يبدو أنني دخلت عش الدبابير بقدمي .. !

في هذه الأثناء قدمت سيارة مسرعة كادت أن تدهسه .. وفرت مسرعة فأوقع نفسه علي الأرض في محاولة لتفاديها ..

***

- الملفات مش في المكتب ..أنا دورت كويس .. مفيش غير الخزنة .. ودي مفتاحها مع أحمد ضرغام .. مش هقدر أقرب منها
- طيب أنا هتصرف
- فيه حاجه حصلت ..ولازم تعرفها ..
- خير
- المباحث كانت هنا .. وأخدت ملف لمار وتوتال بيتش ..
- ليه ؟
- مش عارفة ..قالت إنها هتراجعهم ..
- واشمعني القريتين دول بالذات ؟
- مش عارفة .. الرائد اللي إسمه أحمد صبري ده رخم جدا .. ومبيتكلمش كتير
- واضح إننا لازم نوصل للورق ده بسرعة ..

***

الفصل السادس
شبه بصمة

رد نادر علي التليفون :

- أيوه ..إيه ؟ إمتي حصل الكلام ده ؟

وأغلق الهاتف وهو يتحرك بسرعة ناحية الباب وبيده اليمني معطفه ..

دخل علي الرائد أحمد صبري بسرعة وهو يلهث :

- أحمد ضرغام اتقتل ..

- إيه ..؟

بعد لحظات انتقل الرائد أحمد صبري مع نادر ومحمد عبد السلام وفريقه من رجال المعمل الجنائي إلي فيلا محمود ضرغام بالمعادي.. كانت مدام رجاء في حالة يرثي لها ..

جثة أحمد ضرغام علي كرسي المكتب .. مختنقا بسلك حديدي.. بعض الأوراق علي الأرض .. جميع محتويات المكتب في أماكن عشوائية ..من أثر مقاومة أحمد ضرغام ..

الخزنة مفتوحة .. وشباك المكتب أيضا ..

تلفت الي نادر :

- واضح إن الجريمة لم يكن سببها السرقة .. وأشار إلي الخزنة الحديدية الكبيرة في ركن الغرفة .. الفلوس زي ماهي ..

اقترب منهم محمد عبد السلام :

- فيه مجوهرات في الخزنة وفلوس .. ومبدئيا كده .. كان فيه شيئ مهم في المكان ده ..اللي دخل هنا كان جاي عشانه ..

تركهم الرائد أحمد وخرج لرجاء هانم :

- مين كان في الفيلا لما حصلت الحادثة ..؟

- مفيش حد تقريبا .. غير الشغالين ..

- وحضرتك كنتي فين ؟

- كنت في البنك .. طلبت منهم فتح الخزنة الخاصة بمحمود .. فطلبو حضوري في الموعد ده ..

- وليه أحمد مكنش موجود معاكي ؟

- كان عنده شغل وقال إنه هيقابلني في البنك .. ولما إتأخر ..اللجنة في البنك طلبت مني إننا نبدأ.. وفعلا بدأنا من غيره ..ولما إتأخر اتصلت بيه كتير علي تليفونه المحمول ..لكن مكنش بيرد .. فجيت البيت

- وهو كان فين لما وصلتي ..

- سألت عليه قالو لي إنه في غرفة المكتب

- ولما دخلت عليه لقيته بالشكل ده ..

- الخزنة كان فيها إيه غير الفلوس والمجوهرات ؟

- أوراق .. تخص شغل محمود ..

- أوراق ..! فيها إيه الأوراق دي ..

- أنا معرفش ..

التفت إلي الشغالين :

- تعالو هنا

تحدثو معا في صوت مقارب :

- والله يا بيه ما لينا دعوة بحاجه ولا شفنا حاجة من أصله

- إنتم الإثنين بس اللي بتشتغلو هنا ؟

قال أحدهم : أيوه سعادتك ..

- محستوش بأي حركة في البيت ..أو شيئ غريب .. ماهو مش معقول واحد بيتقتل في البيت وانتم مش حاسين بأي حاجة.؟!

- حضرتك زي ما انت شايف الفيلا كبيرة ..والمطبخ بعيد .. فصعب إننا نسمع أي حركة

- أومال الست لما بتحتاج منكم حاجه بتنادي عليكم إزاي

- لما بتنادي بنسمع حضرتك ..لكن ملاحظناش حركة حد في الفيلا ..

- يعني إيه ؟؟ دي جريمة وبالنهار .. يعني اللي دخل دخل بالنهار ومن غير ما حد يشوفه قتل الراجل وخرج .. وانتم نايمين علي ودانكم ؟! يمين بعظيم لو ما اتكلمتم لالبسكم القضية دي

ارتعد أحدهم :

- والله يا بيه ما لينا دعوة بحاجه .. استاذ أحمد جه من برا وطلب فنجال قهوة مظبوطة ودخل مكتبه .. بعد شوية دخلت له القهوة وطلب محدش يزعجه .. مشفناش أي حاجه بعد كده .. ولا سمعنا أي حاجة

***

- مفيش أي بصمات غريبة كالمعتاد .. كل البصمات في الغرفة للشغالين وأهل البيت .. بس فيه حاجة أعتقد مهمة جدا ..

- قول أي حاجه يا عبد السلام تفتح النفس أبوس إيديك ..

- السلك اللي أحمد اتخنق بيه ..

- إيه ..عليه بصمة ؟

- شبه بصمة

- يعني إيه ؟

- يعني بصمة غير مكتملة .. واضح إنه كان لابس جاونتي.. لكن اتقطع منه حتة وهو بيخنق أحمد ضرغام ..من أثر المقاومة.. لكن المفاجأة إن ده مش سلك عادي .. ده سلك بنستخدمه في الخياطة في العمليات الجراحية ..!!

- أوباااا ..أيوه بقي .. يعني اللي قام بالجريمة دي دكتور !

- ممكن آه ..وممكن لأ..

قال محتدا :

- إيه ..إيه يا عبد السلام ما كنت كويس .. السلك سلك بيستخدمه الدكاترة في العمليات ..يعني اللي قام بالعملية دي غالبا هيكون دكتور وإلا هيجيب السلك ده منين ؟

- وارد .. بس أنا أقصد إن السلك ده ممكن يتسرق أو حد يشتريه ..

قال أحمد وهو يمسح ذقنه :

- طيب مفيش أي طريقة نقدر نعرف بيها أو نتبع بيها الشخص اللي دخل الفيلا ..؟

هز عبد السلام رأسه نافيا :

- بالأدوات اللي متاحة قدامنا ..منقدرش .. أجهزة البصمات غير كافية ومفيش أي أثر تاني في المكتب ممكن يكون خيط لينا في حاجة ..

- ولا حتي أثر جزمة.. ؟

- ولا أثر لأي جزمة .. كل الآثار لأحذية أصحاب البيت .. ممكن بقي يكون حد من جوه البيت هو اللي قام بالجريمة دي..؟

نفي بسبابته :

- لا ..أنا أشك في ده .. بس إزاي الشباك اتفتح ودخل منه شخص وكان عنده الوقت إنه يخنق أحمد من غير ما ياخد باله ؟ أكيد ده مكنش هيحصل بسهولة ..إلا لو كان الشخص ده موجود في المكتب فعلا قبل دخول أحمد ضرغام ..! ولا إيه ..؟

- ده صحيح .. لكن فيه مفارقة .. جسم أحمد ضرغام كان فيه إتروبين ..لكن تركيزه قليل ..

- يعني مش سام ؟

- لأ.. كمنوم ممكن ..لكن كسم لأ..

إبتسم عبد السلام ثم أكمل :

- لكن التركيز اللي كان في جسم أبوه .. كان أعلي بكتير ..

- إنت عايز تقول إن القاتل هو نفس الشخص لكن استخدم المادة دي مرة مع محمود ضرغام نفسه كمادة سُمية ومرة مع إبنه أحمد كمنوم ؟

- أيوه ..

- طيب وليه ..ماهو مدام كده كده كان هيستخدم المادة ..ما كان زود تركيزها وقتله مسموم بيها زي أبوه وخلاص ..!

- إلا لو كان مكنش في نيته من الأصل إنه يقتله ..؟!

- يعني !! حقنه بيها بمسدس حقن من برا الشباك مثلا .. نام أحمد .. دخل ..فتح الخزنة .. فاق أحمد .. فلف السلك حولين رقبته وقتله ..!

- ده أقرب تفسير محتمل لإن وجوده من البداية في المكتب صعب خصوصا إن أحمد كان ممكن يكتشف ده بسهولة ..

- طيب البصمة الغير مكتملة دي ممكن نعرف منها صاحبها ؟

- صعب ..! معندناش التكنيك ده في مصر للأسف .. بس هو فيه حاجه ممكن توصلنا لشيئ .. إيه هيا .. فيه تكنيك جديد في أمريكا بيعتمد علي تحليل بصمة العرق ..!

- عرق ؟!

- أيوه ..

- فهمني إيه في دماغك طيب ؟

- إحنا عندنا بصمة غير مكتملة .. نقدر نكمل البصمة دي مع إن ده صعب جدا ..لكن نحاول لإن البصمات لا تتشابه ..وكل شخص ليه بصمته المميزة ..حتي في التوائم ..

- جميل .. ومن خلال إستكمال البصمة دي نقدر نعرف مين صاحبها وبالتالي نعرف مين القاتل ..!

- لا مش صح ..لإن ببساطة ده سلك طبي ..فطبيعي يكون عليه بصمات دكتور ! وممكن يقولك إنه اتسرق مثلا أو أي ممرض خرجه ومنقدرش نثبت العكس .. لكن نقدر نعمل مقارنة ببصمتين..البصمة المستكملة وبصمة العرق .. ونعمل التحليل الطيفي ده لأطباء المصحة بالكامل .. اللي تتطابق معاه البصمة المستكملة مع بصمة عرقه يبقي هو القاتل الحقيقي ..!

- ده موضوع كبير قوي يا عبد السلام ..!.. إنت استخدمت التكنيك ده قبل كده ...؟

- في الحقيقة لا.. لكن ده موضوع رسالة الدكتوراة بتاعتي .

- لازم نرفع الموضوع للعرض وبعد الموافقة .. نقدر نعمل ده .. تمام ياعبد السلام ..الله ينور

***

- رجاء هانم أنا عايز اطمن حضرتك إننا توصلنا لخطوات مهمة جدا هتفيدنا في سير التحقيقات ..وأنا عارف ومقدر اللي حضرتك فيه ..لكن أنا مضطر إني أكمل التحقيق مع حضرتك ..

قالت وهي تبكي :

- اتفضل ..

- قلتي لي المرة اللي فاتت إن محمود ثابت كان بياخد شيك علي بياض من جوزك الله يرحمه عشان يضمن بيه ولاءه ..وبعد كل عمليه كان بياخد الشيك يقطعه ويا دار ما دخلك شر ..صح ؟

- أيوه ..

- طيب وإيه يجبر أستاذ محمود إنه يوقع علي بياض ؟ الشركة كبرت والحمد لله والفلوس كتير .. مش محتاجين يعني ..!

- في الأول كل الأمور كانت مقبولة ..والعمليات كلها عمليات شرعية مية المية ومفيش أي شبهة فيها .. محمود كمان كان بيثق في محمود ثابت جدا ..

- حضرتك بتقولي في الأول ؟ يعني الموضوع خد سكة تانية!

- في الحقيقة أيوة .. أراضي بوضع اليد .. مساحات شاسعة بأسعار زهيدة جدا .. أحيانا سعر المتر الطبيعي كان ممكن يعدي العشر آلاف جنيه .. ومحمود ثابت يخلصه علي جنية مثلا .. محمود جوزي معجبوش الكلام ده في البداية .. لكن الأدهي إن الأرض مكنش بيتبني عليها أي مباني ولا قري ولا مدن سكنية

ولا أي شيئ وتتباع من الباطن لرجال أعمال عرب ومستثمرين أجانب بخمس ست أضعاف تمنها الأصلي ..وطبعا تخيل مدي الثروة والنفوذ ..!

- شيئ مغري جدا الحقيقة .. يعني يبقي دافع مليون وبعد شهر يبقي عنده اتنين تلاتة مليار ..

- ده صحيح لكن

(عند حد معين من السلطة بتزهد في كل شيئ.. وبتعيد حساباتك مرة تانية .. إن كنت لسه فيك من صفات البشر.. ممكن جدا تراجع نفسك .. وإن كنت تحولت لشيطان .. هتطغي علي كل شيئ)

- إسمحيلي يعني وهو إيه اللي فوق ضرغام رغم إن زي ما حضرتك بتقولي بقي عنده نفوذ وسلطة أكتر من الأول ومن غير ما يبقي سياسي ولا حاجه ..!

- السرطان ..

- !!

- محمود اكتشف إن عنده سرطان الرئة.. المرض كان في مراحله الأولية ..والأطباء استئصلو منطقة الورم لكن العملية دي هزته جدا ..وقرر وقتها إنه يتوقف عن أي عمليات بيشارك فيها مع محمود ثابت .

- وهو وافق ؟

- الحقيقة لأ.. محمود ثابت رفض قراره .. وحصل بينهم صدام عنيف .. لأن محمود ثابت كان شريك لوزراء تانيين

- أكيد هدده ؟!

- أيوه هدده وقتها بالشيك اللي علي بياض إنه بسلطته كوزير هيوقف له شغله ..

- هدده بالقتل ؟

- لا ..لكنه قال إنه شريك لوزراء تانيين وإنه عامل علي مصلحته ..وإنه بالشكل ده هيفتح علي نفسه أبواب جهنم ..وإنهم مش هيرحموه ..

- عشان كده كنتي بتقولي في المصحة ..قتلوه الكلاب ..!

تلعثمت قبل أن ترد :

- أيوه

- تعرفي أي حد منهم ..يعني تتهمي أي وزير ..أي شخص .. حتي لو محمود ثابت نفسه ؟

- لأ..

- ليييه ؟

- الكلام ده كان قبل دخول محمود المصحة بشهور .. ومفيش أي شيئ تم خلال الشهور دي نهائي ..بالعكس لما محمود تعب ..اللي وقف معانا هو محمود ثابت ..

- وطبعا أحمد هو اللي تولي الشغل بعد تعب محمود بيه..؟
- أيوه بس تحت إشرافه ..
- عشان كده كان معاه لاب توب في المصحة ..!؟
- أيوه ..
- طيب ما انتي عارفة إن دول سياسيين ..يعني أكيد مش هينتقمو بالسرعة اللي إنتي متخيلاها ..
- حتي لو كلامك صح ..أنا معرفش محمود ثابت كان مشارك مين ..ولا شبكة علاقاته ممكن توصلنا لإيه ..
- طيب ما تتهمي محمود ثابت نفسه وإحنا نكمل السلسلة دي ..
- إنت ليه عايزني أتهم محمود ثابت ..
- كل الشواهد بتقول إن ليه يد في الموضوع ..
- لأ.. انا معتقدش .. !
- المشادة الكلامية دي حصلت قدام مين ؟
- أفتكر قدام ماجدة..
- وحضرتك عرفتي منين ..
- محمود اللي حكي لي ..

***

الفصل السابع
هلوسة

(عندما يقترحون عليك عدة علاجات

لمرض، فهذا يعني أنه لا يمكن علاجه!)

أنطون تشيخوف.

كان الصباح التالي هادئا من الأحداث ..لكنه لم يخلو من بعض الخيوط المتشابكة .. كان يعرف أنه يقرع ناقوس الخطر .. كان يخشي من الإقتراب من وزير واحد ..ليكتشف أنها شبكة من الوزراء والشخصيات العامة ..!

(كلنا فاسدون إلا من أبى .. كلنا فاسدون حتي نثبت العكس .. كلنا متورطون في هذا الفساد .. فلو انشغلنا بإصلاح عيوبنا عن البحث في عيوب الناس .. لما استشري فينا هذا الفساد وهذا الخبث)

تسائلت كثيرا هل نستحق أن يتولي أمرنا رجالا لا ينشغلون عنا بجمع الثروات والتلذذ بمتع الدنيا ؟

هل نستحق رجالا لا يسهرون إلا علي راحتنا ؟ يعملون بصدق وبإخلاص ؟

ربما نستحق ذلك في اليوم الذي نصلح من أنفسنا فيه .

لنستحق العدل .. يجب أن يمارسه كل منا أولا .. لماذا نطلب العدل من ساستنا ونحن نهمل العمل به في أبسط أمورنا !

إن مارسنا العدل وطبقناه علي أنفسنا فسيكون كل شيئ علي خير ما يرام .

ماذا عساي أن أفعل في هذه الجريمة ... لن أستطيع مخالفة ضميري حتي لو كان يوم إكتشافي القاتل وفك تلك الخيوط المتشعبة هو آخر يوم لي في الداخلية ..!

دخل نادر ليستفيق الرائد أحمد من شروده .. :

- ماجدة الشماع برا يا فندم زي ما طلبت ..

عدل من نفسه :

- بقي لها قد إيه برا ..
- ساعة تقريبا .. نسيبها كمان شوية ولا ندخلها ؟
- لأ ..كفايا ..دخلها ..

دخلت ماجدة الشماع مضطربة وهي تعرف مسبقا ماهي مقدمة عليه :

- صباح الخير يا فندم
- أهلا يا ماجدة ..اتفضلي
- حضرتك طلبتني ..
- شوفي .. تحبي نيجي مع بعض دوغري ..ولا تحبي الطريق التاني ..!
- يافندم هو إنت طلبت مني حاجه وأنا رفضت ..
- جمييييل ...!
- يبقي أنا كمان أجيلك دوغري .. أنا عايز أعرف تفاصيل المشادة اللي حصلت بين محمود ضرغام ومحمود ثابت في وجودك.

- يااااه .. دي كانت من فترة طويلة .. تقريبا سنة .. مش عارفة هفتكر تفاصيل الكلام ولا لأ.. هو حضرتك عايز تعرف إيه بالضبط ..؟

بزهق شديد ونبرة حادة :

- الله .. هنلاوع بقي ؟ ما قلنا نتكلم دوغري أحسن
- طيب حضرتك عايز تعرف إيه بس ؟
- ما قلتلك عايز أعرف إيه اللي حصل في يوم الخناقة دي
- حاضر .. هو اليوم ده كان دكتور محمود ثابت عند محمود باشا ضرغام الله يرحمه في المكتب وطلب إني مدخلش عليهم أي حد ولا أحوله أي تليفونات .. وفعلا حصل ..

الإجتماع طول شوية وبعدين سمعنا صوتهم العالي في مشادة بينهم .. وكان دكتور محمود ثابت خارج من المكتب والتفت لمستر ضرغام وقال له أنا مبشتغلش لوحدي ..لو أنا سكت اللي بشتغل معاهم مش هيسكتو ..ومتنساش الشيك اللي إنت ماضي عليه ..

- ها وبعدين ..
- وقال حاجة كده زي هيدمروك ..هيقتلوك ..حاجة كده مش فاكرة ..
- وإيه كمان ..
- مستر ضرغام قال له إشرب إنت وهما من البحر ..شوفولكم حد غيري يا أخي .. فرد عليه وقال له إنت كده بتلعب بالنار

يا محمود .. وسابه ومشي ..

- كان فيه حد غيرك سامع المشادة دي .؟

- لأ ..لإن مكتب مستر محمود بيفتح علي مكتبي ومكتبي هو اللي بيفتح علي برا .. ومكتبي كان مقفول .

- يعني مفيش غيرك كان حاضر للمشادة دي ؟

- أيوه .

- ورد فعل محمود ضرغام إيه وقتها ..

قام قبل أن تكمل حديثها وجلس في المقعد المقابل لها مباشرة حيث أكملت :

- كان عنده ضيق تنفس أو شبه أزمة وطلب كوباية ماية .. وأنا دخلت أهديه ..

- مش شايفة إنها غريبة شوية ؟

- هي إيه دي يا فندم . ؟

- محمود ثابت ده وزير .. مش لعبة كدة .. يعني كونك تكوني حاضرة موقف زي ده وشاهدة علي الخناقة دي ويسيبك كده ..تبقي غريبة ..

- وهو كان هيعمل لي إيه يعني ؟

- طيب لو إنتي مكاني بتحققي في القضية ولقيتي قدامك الخناقة والتهديد ده بين شخصية زي دكتور ثابت ومستر محمود ومفيش شهود غيرك ..ومستر محمود يتقتل .. توصلي خيوط

الموضوع إزاي ؟

- يافندم الموضوع ده من شهور طويلة .. وبعدين كلام حضرتك زي ما تكون بتتهم دكتور محمود ثابت بالقتل ..

- هو فيه سياسي بردو بيقتل بإيده ياماجدة ؟

- يعني إيه حضرتك ؟

- يعني انتي يا اتهددتي يا خدتي رشوة ..

- أنا ؟ لا يمكن يا فندم لا يمكن أكون خدت رشوة من حد .

- الله ..ومخدتيش بالك يعني من إني قلت ممكن تكوني اتهددتي ؟

- طب هيرشيني أو هيهددني ليه ؟

- فيه بصمة ليكي كانت علي اللاب توب بتاع محمود ضرغام في المصحة .. يعني ممكن جدا تكوني إنتي اللي قتلتيه ..!

- وهقتله ليه ؟ وبعدين طبيعي تلاقي بصمتي علي لاب توب مستر محمود ..أنا مديرة مكتبه يافندم ..

- كل السندات المالية اللي كانت مع مستر محمود في المصحة اتسرقت ..ومفيش زيارة تمت غير ليكي قبل الحادث بيوم .. وبصمتك هناك يبقي مفيش غيرك ..

- مكنش فيه سندات أصلا في المصحة ؟

- وعرفتي منين ؟

تلعثمت قبل أن ترد :

- يا فندم أنا مديرة مكتبه

- وهو يعني هياخد إذنك قبل ما ياخد معاه سندات أو فلوس .. مفيش داعي للمراوغة دي.. قولي الحقيقة .. وهنحميكي

أشارت بارتباك شبه ساخر :

- هو يعني حضرتك مع كامل إحترامي هتقدر تحميني من وزير !؟

ابتسم بسخرية :

- بصي .. محمود ضرغام اتقتل ..وأحمد كمان إتقتل .. وإنتي زمان خبر وجودك هنا وصل للباشا .. لو فضلتي علي موقفك ده ممكن جدا نكون بكرا في شقتك الجميلة بنعاين جثتك .. قوليلي الحقيقة ومتخفيش ..!

رجعت لتسند ظهرها إلي الكرسي وقالت بأسي وكأنها تتذكر ما حدث :

- دكتور محمود هددني ..

***

- دخلوها
- مساء الخير سعادتك ..
- أهلا يا ماجدة .. اقعدي ..
- شكرا معاليك ..
- إنتي طبعا كنتي موجودة ساعة المشادة الكلامية بيني وبين محمود ضرغام ..
- أيوه معاليك
- إنتي طبعا عارفة إن ده كان كلام وقت غضب ..وإننا أصدقاء من سنين ..
- طبعا ..
- أنا عايزك تساعديني إنك تعقلي محمود .. ده شغل بمليارات مش لعبة ..

ثم وقف محمود ثابت وهو يتجه ناحية الشباك المطل الي حديقة قصره وفي يده سيجار كوبي مشتعل ينفث دخانه في الهواء :

- وأنا مبنساش حبايبي .. لو كلمة واحدة اتكلمتيها ومكنتش علي هوايا .. مش هيكون فيه ماجدة الشماع ..!
- يافندم ..حضرتك تؤمرني وأنا عليا التنفيذ ..وأنا مقدرش أعمل إلا اللي سيادتك عايزه ..

إلتفت إليها وهو يشير :

- فهمها يا جميل هتعمل إيه وخلي عينك عليها ..

نقّلت بصرها بينه وبين مستر جميل الذي حدثه :

- أوامرك يا معالي الباشا ..

***

رجع الرائد أحمد للخلف ليسند ظهره إلي الكرسي :

- مين جميل ده ؟

- ده مدير مكتبه

- وطلب منك إيه بقي سي جميل ده ؟

- إداني كيس فيه حبوب وطلب إني أضيف حباية منهم كل يوم لعصير أو قهوة مستر محمود ..وإني لو اتكلمت مش هيكون كويس علشاني .. وإداني فلوس وقتها ..من إرتباكي معدتش أصلا هو إداني كام ..

- حبوب إيه دي ؟

- والله ما أعرف ..

- وطبعا نفذتي اللي طلبه منك ..

- الحقيقة لأ.. في البداية كنت بحط مرة أه وخمسة ستة لأ.. لكنهم عرفوا

- وعرفتي إزاي إنه عرف ؟

- لإنه طلب مني إني أزود الجرعة لحبيتين بدل حبة واحدة .. وهددني اني مش هيحصلي طيب

- لاحظتي أي تغيرات علي محمود ضرغام في الفترة اللي كنتي بتديله فيها الحبوب دي ؟

- لا خالص .. لكن كان بيشتكي من صداع مستمر .. وسعات كان بيبقي تصرفاته زي ما يكون واخد مهدئ .. متراخي حتي في

كلامه ..

- لاحظتي عليه أي أعراض تانية .. ؟
- بعد فترة ..كان بينسي حجات بديهية ..
- وايه الغريب في كده ..كلنا بننسي
- لا هو نسيانه كان كتير شوية ..
- زهايمر يعني ؟
- مش عارفة تفسيره الطبي إيه ..لكن اللي أعرفه عن مستر محمود إن ذاكرته قوية جدا .. فلما كان بينسي كان ممكن يسألني عن نفس الشيئ مرتين تلاتة
- وفضلتي تديه الحبوب دي فترة قد إيه ..؟
- ثلاثة شهور ..
- يااه دي فترة طويلة ..
- بعدها خد أجازة لمدة عشر أيام وأحمد بيه قال إنه سافر
- سافر فين يعني ؟
- مش عارفة
- ورجع تاني إمتي ؟
- أنا كنت بسأل مستر أحمد بإستمرار عن مستر محمود فكان يقولي ملكيش دعوة وخليكي في شغلك ..ولما الفترة طالت.. قال لي إنه في مستشفي لإنه تعبان شوية ..ورافض زيارة أي شخص
- طبعا في التوقيت ده كان في المصحة ..

- غالبا ..أيوه

قال وهو يقف ويسير في الغرفة بيد في جيبه والأخري يحك بها ذقنه :

- يعني نقدر نقول إن الحبوب دي كان تأثيرها عليه بعد الفترة الطويلة دي إنه دخل المصحة النفسية !!

- غالبا ..أيوه ..

- طيب ومحمود ثابت هيستفيد إيه من حبوب زي دي توديه لمصحة !!

- الحقيقة مش عارفة ..

***

الفصل الثامن
محاولة أخيرة للنجاة

مكمن الخطورة في الفساد
أنه يأتيك من مأمنك.

جلس الرائد أحمد علي مكتبه في حيرة شديدة .. ما الإستفادة التي تقع علي محمود ثابت جراء هذه الحبوب التي كانت تعطيها له ماجدة الشماع ؟

وما الرابط بين هذه الحبوب ودخوله للمصحة النفسية ؟

هل كان محمود ثابت يهدف ويخطط لدخوله المصحة في نهاية المطاف ؟

وما الذي سيستفيده أصلا من تلك الخطوة .. فقد كان محمود ضرغام سليم العقل إلا من بعض نوبات الصرع والإضطراب .. فقد كان يمارس مهام عمله من خلال لاب توب حديث ومتطور حد أنه كان يدخل كلمة السر ببصمة صوته .. !؟

أم كان يهدف من الأصل أن يصيبه أو يجعله يعتاد علي تلك الحبوب التي لنفترض أنها كانت

(حبوبا مهدئة) فيدمر جهازه العصبي ويصبح حديثه لا قيمة له ولا وزن ؟!

لو كانت تلك هي وسيلة محمود ثابت للإنتقام من محمود ضرغام فيالها من وسيلة قذرة وبشعة لينتقم بها من صديق طالت عشرته.!

الأمر في غاية الغرابة .. المرء يسمع عن معارك رجال الأعمال .. يقتل بعضهم بعضا .. يفسد بعضهم أعمال وحياة البعض .. لكن هذه الطريقة الجديدة من الحرب النفسية .. تلك الدماء الباردة

التي تحرك الأحداث بهدوء ونفسٍ طويل كما لو كانت خيوط الماريونت بيديه لأمر شديد الغرابة ..!

ولما لا .. ولما لا يحرك الأمور بهذا الهدوء..؟

فهو في سلطة تسمح له بذلك وتخسف بمن سولت له نفسه الإقتراب من قوانين اللعبة التي وضعها بنفسه ..!

يالنفسي التي سيُخسَفُ بها قريبا ..!!!

هذه الخيوط المتشابكة المتشعبة تدلني في النهاية إلي طريق واحد.. تبا لرؤسائي الذين يغمضون أعينهم عن تلك الحقيقة الساطعة .. !

ليس أمامي شيئا آخر لأسير وراءه .. رغم أن كل هذه النتائج لم تاتيني إلا عن إحتمالات مبهمة للجميع .. لكن من عساه يقدم علي الإنتقام من محمود ضرغام ..؟

هذا القاتل كان من الممكن أن يكتفي بإعطاء محمود ضرغام جرعته القاتلة ليصيبنا بحيرة بالغة بعد تشريح جثته ..وكنا سنصل في النهاية إلي نفس النتيجة ..أن محمود ضرغام مات مسموما .. لكنه أراد أن يبعد فكرة أو إحتمال أنه ربما يكون مات منتحرا.. وأراد أن يؤكد لنا أنه قد قُتل فأحكم وثاقه بغرور..!

يا لغروره ..!

أعطاه حبوبا تسبب له الهلوسة .. وهو رجل أعمال وله كلمته ووزنه في السوق ..فتخاف أسرته من الفضيحة .. فتذهب به إلي

مصحة ليعالج بها .. ويصبح حديثه بلا فائدة ..إذ أنه مريض نفسي والمريض لا يعول علي كلامه .. فيصبح هو في مأمن منه ومن شره.. وإن تحدث ولم تهلكه النائبة التي حلت به .. يلوح له بالشيك الذي وقعه له علي بياض .. فيصبح بين فضيحة الجنون وفضيحة السجن .. فيختار أخفهما ضررا ويسكت للأبد ..

لكن في النهاية النيابة لن تأخذ بهذه الإفتراضات والتخمينات .. هي لها القاتل الحقيقي الذي ارتكب الجُرم وهي من ستحقق وتؤكد صحة تلك الإفتراضات من عدمها .

***

خرجت ماجدة الشماع وهي في حالة يرثي لها .. بعد أن وعدها الرائد أحمد صبري من متابعتها والعمل علي حمايتها ..

كانت تعرف أنها إن وثقت في الشرطة ثقة تامة فسوف تجد نفس مصير محمود ضرغام في النهاية .. لذا فقد قررت أن تمسك العصا من المنتصف .. فتخبر محمود ثابت بما جري معها في التحقيق.. مع التحفظ علي أنها تكون قد أدلت بشيئ عنه وبذلك تكون كسبت ثقته واطمئن لها فيعدل عن الفتك بها إن كان ينوي ذلك فهي لم تعد مهمة بالنسبة له .. فالورق الذي كان يبحث عنه سُرق من خزنة الفيلا حيث قُتل أحمد ضرغام .

اتصلت به علي الخط الخاص ..

- مساء الخير يا معالي الباشا
- مساء النور يا ماجدة
- فيه حاجة مهمة حصلت ولازم تعرفها .. بس مش هينفع في التليفون ..لازم تسمح لي إني أقابل حضرتك ..
- أوك .. ياماجدة ..إحنا هنعرف نوصلك ..

أغلقت الهاتف وهي ترتعد خوفا مما قد يحدث لها في الأيام القادمة ..

إن الأمور تسير علي غير ما كانت تتمناه .. كل ما كانت تهدف إليه عمولة جيدة تمكنها من إفتتاح شركتها الخاصة .. وتعيش بعدها بسلام في عالمها الجديد .. لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

قد يحول هذا الضابط المجنون هذه القضية إلي قضية رأي عام .. ويدمر لها كل ما كانت تحلم به .. هي الآن في موقف لا تُحسد عليه .. إما إن يصدقها محمود ثابت وإما أن يشك فيها فيكتب نهايتها بيديه .

لم تكد تصل إلي بيتها حتي إعترض طريقها رجال محمود ثابت الذين كانوا يركبون سيارة جيب سوداء اللون .. أخرجوها من سيارتها بكلمة واحدة مطمئنة ..

- الباشا عايزك ..

لم تنبس ببنت شفة .. ركبت السيارة حيث كان أحدهم في المقعد الخلفي يستقبلها ليُغَمي عينيها بعصابة عينٍ سوداء ..

بعد دقائق كانت السيارة تبتلع الطريق الصحراوي بسرعة كبيرة .. حيث وصلت إلي قصر بُني علي الطراز الأوربي .

لم تعرف أين هي لأنهم لم يرفعون عنها عصابة عينها إلا بعد دخولها إلي القصر وجلوسها علي كرسي ..بدا وكأنه ضخمٌ من ملمسه .. في إنتظار قدوم محمود ثابت نفسه .

- أهلا يا ماجدة ..

رفعت شعرها بعد أن أزالو عنها عصابة العين وهي تهز رأسها إيجابا

- حاجة إيه المهمة اللي عايزة تشوفيني عشانها ؟

- البوليس ..

قالت في تلعثم وهي ترتب ما ستقوله فلم تكن تعتقد أنها ستقف هذا الموقف بتلك السرعة .. :

- استدعوني للتحقيق في قضية قتل مستر محمود ومستر أحمد

- ما يحقق .. إيه المهم في كده عشان تحكيهولي ..؟

- الرائد اللي كان بيحقق معايا واضح إنه عارف حاجة عن شغل معاليك مع الباشا الله يرحمه .

- وعرفتي منين ؟

- هو سألني إن كان مستر محمود كان ليه شغل مع سياسيين أو رجال دولة بصفتي يعني كنت مديرة مكتبه.. وأنا قلت له إني مكنتش أعرف أي تفاصيل لأي شغل إلا لو كان مستر محمود عايز يعرفها لي .. وإني مكنتش أعرف حجات كتير عن شغل كان بيقوم بيه مستر محمود مع مستر أحمد مباشرة .

- سألك عن أسامي معينة ؟

- لأ خالص ..

- تمام يا ماجدة ..برافو عليكي .. لو سألوكي تاني .. هتقولي نفس الكلام ..

- طبعا ..طبعا يا معالي الباشا ..

وأشار الي رجاله .. :

- وصلوها مكان ما جبتوها ..

***

الفصل التاسع
بداية النهاية

كان محمد عبد السلام لا يزال يعمل مع فريق رجال الطب الشرعي علي إستكمال تلك البصمة الغير مكتملة .. تلك التي وجدوها علي السلك الذي تم شنق أحمد ضرغام به ..

البصمة التي ربما تفك تلك الشفرة العثرة لقضية متشابكة الخيوط. إلا أن الموضوع لم يكن بتلك السهولة التي كان يعتقدها أحمد صبري .. فقد كان عبد السلام يعرف مسبقا أنه يستدعي الخيال ليُنهي هذه القضية .. ويصل للبصمة المكتملة .

فالبصمات تتمتع بسمات مميزة شديدة التعقيد.. تُميز بصمة كل شخص عن بصمة غيره من البشر .. فهناك ما يُعرف في كل بصمة بنهاية الخط وتفرعه .. الخط الوحيد الذي يتفرع إلي خطين ثم يتوحد ليستمر كخط وحيد .. الخط الذي يبدأ ثم يعبر مسافة قصيرة ثم ينتهي .. الخط المستقل والحافة البارزة والخط القصير.. أشياء لا نهاية لها من التعقيد مما يُصعِبْ من المهمة التي يحاول عبد السلام إجتيازها .

هذه السمات المعقدة هي التي تستخدم في أنظمة التعرف علي البصمات ..حيث يتم إستخلاص هذه السمات لمطابقتها بالقوالب المخزنة مسبقاً مما يعني أن ما يتم تخزينه في مثل هذه الأنظمة هو ليس صور البصمات ..!! وإنما مجموعة من القيم الرقمية لسمات البصمة نفسها .. ! يالها من مهمة !

كان عبد السلام يراجع بعض الأوراق بإنهماك لم يجعله يلحظ دخول أحمد صبري الذي سأل بصوت عالٍ نفس السؤال مرتين ليُلفت إنتباهه:

- يعني هو إحنا منقدرش نعمل تحليل DNA للبصمة دي فنعرف منها مين صاحبها ؟

إنتبه عبد السلام إليه في المرة الثانية :

- لأ طبعا .. لإننا ببساطة معندناش قاعدة لبصمات قواعد الـ DNA ..

- معقولة ؟

- هو إحنا بنعملها للمجرمين المسجلين ..لما نعملها لعموم الشعب .. !

وبعدين بصمات الـDNA عند التوائم المتطابقة متشابهة ..يعني لو القاتل ليه أخ توأم هيقولك والنبي ما أنا دي أختي مني ..!

ابتسم أحمد صبري فالتفت إليه عبد السلام وهو يضع الورق إلي المكتب :

- ياعم إنت متفرجتش علي مسلسل الشك ولا إيه .. وسيلة طلعت بنت حسين فهمي في الآخر ..آه وربنا..!

- إنت هتهرج ياعبد السلام .. وسيلة مين دي كمان ..!؟

- ما إنت هتنقطني ..

- أنا بردو .. !

- كل حاجه منقدرش ..منقدرش .. أومال العالم ده كله شغال إزاي والماجستير بتاعك ده خدته ليه.. !؟

- يابني عيش عيشة أهلك .. إنت في مصر مش في أوروبا.. إنسي بقي الماجستير والدكتوراة اللي خوتني بيهم دول .. الطب الشرعي في مصر مختلف تماما عن الطب الشرعي في الدول المتقدمة ..!

- ماهو أقل حاجة يعني أجهزة البصمات اللي بنشتغل عليها تكون موجودة عشان نعرف نشتغل .. أومال هنشتغل إزاي.؟

- أنهي بصمات بقي ؟ بصمة الأصابع ولا بصمة العرق ولا بصمة الشعر ولا بصمة الأسنان ولا بصمة الـ DNA ولا بصمات كف اليد ولا مفاصل الأصابع ولا بصمة العينين والأذنين ولا البصمة الصوتية والتحليل الصوتي

- خلاص ياعم ..أي بصمات المهم نعرف نشتغل وخلاص ..

- يا أحمد بيه دا حتي جهاز فحص البصمات مش عندنا .. دا لو موجود كان زمان القضية دي خلصت من زماااان ..

المفروض كل طفل بيتسجل بصمته وأي شخص بيستخرج أي أوراق حكومية بيتراجع بصمته واللي مش مسجل بيتسجل .. وأي وافد للبلد بيتسجل بصمته من خلال المطارات والموانى فبالتالي بيبقي عندنا حصر لجميع بصمات الأشخاص الموجودين في البلد ..

بالتالي أي جريمة تحصل .. نقدر نحصر بصمات الناس اللي كانت متواجدة في المكان ده في الفترة اللي نحددها وبناء عليه نستبعد ناس كتير مبيكونش ليهم أي لازمة في التحقيقات .. بدل أسلوب لم يا معلم الناس واستبعد واحد واحد ده..

- بس ده اكيد غالي جدا ..

- ولا غالي ولا حاجة .. أنا سمعت مساعد وزير الداخلية السابق بيقول في برنامج إنه تقريبا بـ ١٤ مليون جنيه ..

- بس ..! يعني هي الوزارة متقدرش تجيب الجهاز ده ؟

- متعرفش بقي ..

- طيب هو مش ممكن البصمة دي لإنها غير مكتملة تتشابه مع بصمة شخص تاني ؟

- لأ طبعا ..لإن فيه إحتمال ١ من ٦٤ بليون فرصة لتطابق بصماتك مع شخص تاني .

- تمام ..طيب هل استكمال البصمة دي سهل ولا إيه ؟

- هي هتاخد وقت فعلا لإن الموضوع مش تخمينات ..فيه أشكال وأنواع كتيرة من البصمات .. لكن أنا اتصلت فعلا بزملائي في جامعة هارفارد وخدت موافقة مبدئية منهم عشان يساعدونا في تحديد بصمة العرق

- طيب هنبدأ إزاي ؟

- احنا عندنا بالفعل بصمة لعرق الشخص اللي قتل أحمد

ضرغام .. ممكن نحصل علي أجزاء غاية في الضآلة من عرق القاتل من مكان البصمة الغير مكتملة .. ومن خلال التحليل الطيفي لمكونات العرق نقدر نحصل علي بروفيل كامل لبصمة عرق القاتل.. هنكون بعد كده محتاجين ناخد بصمة عرق كل شخص مشتبه فيه ..وخصوصا من أطباء المصحة ومطابقة البصمتين ببعض .. واللي يعزز ده مطابقة الجزأ العلوي من بصمات أصابعهم بالبصمة الغير مكتملة في حالة عدم وصولنا للبصمة الكاملة .. في الحالة دي نقدر نوصل للقاتل بسهولة .

- كده يبقي فاضل الموافقة الأمنية .. وبعدها نجهز نفسنا للسفر ..!

***

لم يضيع أحمد صبري أي وقت بل خرج من المعمل إلي مكتب مدير إدارة البحث الجنائي مباشرة ليحصل منه علي موافقة بالسفر.. ووعده بالإبتعاد تماما عن محمود ثابت إلا إن قادته التحقيقات إليه ..وسوف يعرض كل الخيوط عليه وهو يحدد ما يمليه عليه ضميره وقتها .

لم يتبق سوي الحصول علي عرق من يشتبه فيهم .. لكن كيف يمكن الحصول علي مسحةٍ من عرق شخص ما دون أن يلفت إنتباهه لذلك ؟!

***

الفصل العاشر
نقطة عرق

L31

أن تتوقع من العالم معاملتك بعدل لأنك شخص صالح بمثابة أن تتوقع من الثور عدم مهاجمتك لأنك إنسان نباتي.

دينيس هولي

في اليوم التالي استدعي الرائد أحمد صبري مدير المصحة وأطباء المصحة وثلاث ممرضات والشيف والحارس وعامل المغسلة

وطلب من نادر أن يحرص علي عدم تواجد أي مناديل معهم.. فطلب منهم نادر أن يضعوا كل متعلقاتهم الشخصية حتي المناديل علي المكتب في غرفة أدخلهم لها أولا..وعندما سأل مدير المصحة عن تلك المعاملة ..قال له نادر بأنهم تعرفوا علي القاتل وأن الرائد أحمد سيخبرهم بكل شيئ. بعدها جعلهم ينتظرون جميعا في غرفة واحدة لفترة قاربت من الثلاث ساعات .. ليتأكد من أنهم جميعا يتصببون عرقا ..

ثم أدخلهم واحدا تلو الآخر لمكتب الرائد أحمد صبري :

كان الرائد أحمد صبري يسألهم بضعة أسئلة عادية عن العمل والمرضي ويعطي كل منهم منديلا ليمسحون عرقهم في تودد .. ثم يطلب منهم أن يرموه في سلة المهملات ويطمئنهم بأنهم علي وشك القبض علي القاتل الحقيقي .. وفور خروجهم يدخل محمد عبد السلام من الباب الآخر للمكتب فيلتقط المنديل كحرز .

وبعد أن جمع محمد عبد السلام .. أحراز العرق لهم جميعا ..وضع إسم كل شخص علي العينة الخاصة به .. بعدها كان كل شيئ جاهزا للسفر ..

خطوة واحدة تفصلهم عن الحقيقة فالتحليل الطيفي لبصمات العرق سيكشف لهم ٩٠٪ من القضية ..

***

في جامعة هارفارد كانت فرصة لا تعوض لمحمد عبد السلام ليعرض نتائج التحاليل الكيميائية التي أجراها ليعرف المواد التي حقن بها محمود ضرغام وابنه علي خبراء العقاقير هناك.
كان يريد معرفة لماذا تم حقنهم بثلاث مواد مهدئة ..؟
رغم أنه كان من الممكن أن تكون كل من هذه المواد وحدها ساما جدا إذا ما أستخدم وحده .. ؟
وإن كان هذا إحتمالا ضعيفا فما هي المواد المهدئة التي من الممكن أن تجمع بين القلويد هيوسيامين والقلويد هيوسين أو أحدهما والإتربين أو بين ثلاثتهم ..؟

***

في نادي مدينة نصر الرياضي إختطف مجهولين حسام إبن الرائد أحمد صبري .. كادت أمه تجن من البكاء علي طفلها ..بحثت في كل مكان فلم تجده .. فلم تجد سوي أن تتصل بنادر زميل الرائد أحمد الذي حضر إليها علي الفور وأخذ يهدئ من روعها .. في نفس الوقت تم إبلاغ مدير الإدارة العامة للمباحث الجنائية بالواقعة الذي أبلغ بدوره الرائد أحمد صبري فقرر أن يعود إلي القاهرة علي الفور تاركا محمد عبد السلام ليستكمل التحاليل وحده ..

في صباح اليوم التالي .. تلقت السيدة أنغام زوجة الرائد أحمد صبري إتصالا هاتفيا .. كان الرائد أحمد قد وصل الي القاهرة في طائرة السابعة صباحا ..

طلب منها أن لا تقرب الهاتف وأن تظل إلي جواره لأن من إختطفه حتما سيتصل بها وأنه في الطريق الي المنزل .

لم يكن أحمد يعرف أنه كان مراقبا ..من وقت وصوله إلي المطار . في اللحظة التي أدار فيها مفتاح الشقة كان جرس الهاتف يعلو من بين صوت البكاء ليفرض نفسه علي الجميع .. هرعت أنغام لترد علي الهاتف .. أشار إليها أحمد الذي فتح لتوه الباب .

رفع السماعة متجهما :

- حمد لله ع السلامة يا سيادة الرائد ..
- مين بيتكلم ؟

- سؤال ساذج من ضابط يبدو عليه الذكاء ..!
- إيه المطلوب ؟
- ملف القضية .. اللي إن شاء الله هتقيد الحوادث فيها ضد مجهول !
- إنت عارف إن ده مش هيحصل أبدا ..
- يبقي مش هتشوف إبنك أبدا ..
- قدامك فرصة لبكره الصبح ..

وأغلق الهاتف ..

التفت الرائد أحمد إلي زوجته :

- متقلقيش .. حسام هيرجع سالم إن شاء الله..

علي رنين الهاتف مرة ثانية :

- ألو
- أيوه يا أحمد أنا عبد السلام ..
- وصلت لحاجة ..
- طمني الأول علي حسام ..
- طالبين ملف القضية ..وقبل دا كله تتقيد ضد مجهول ..
- وهتعمل إيه ؟
- هرجع لرؤسائي وربك يعدلها .. طمني إنت وصلت لشيئ.
- أيوه .. المواد الـ ....

قاطعه أحمد :

- شششش ..أنا هكلمك من المكتب بعد دقايق ..

***

الفصل الحادي عشر
داتورا

ارتكاب الخطيئة عمل إنساني، لكن تبرير تلك الخطايا عمل شيطاني.

(توليستوي)

وصل أحمد إلي الأدارة .. يشق طريقه لمكتب مدير الإدارة .. كاد يبلغه بما حدث .. فأخبره أن هاتفه كان تحت المراقبة وأنه علم بكل شيئ.. لأنهم كانوا يعرفون بالطبع أنهم سيتلقون إتصالا من الخاطف .. لكنهم لم يتوصلوا لمكان الإتصال مع الأسف لأنه أنهي المكالمة في الثانية الأخيرة للوقت المفترض أن يمر قبل تحديد موقع الإتصال ..

- حضرتك شايف إيه يا فندم ..
- شوف يا أحمد .. طبق القانون علي الكبير قبل الصغير .. حتي لو هيكون آخر يوم لينا لابسين فيه البدلة العسكرية ..
- أنا عندي إقتراح لو تسمح لي ..
- إيه هو ..؟
- نقيد الحادثة فعلا ضد مجهول
- إنت بتقول إيه ؟
- يافندم أنا أقصد بعلم النيابة ..كنوع من التمويه ..!
- شوف يا أحمد أنا مقدر جدا خوفك وقلقك علي إبنك.. لكن مش عايزين ناخد أي خطوات غير قانونية ترجع بالضرر علي أي شخص .. لذلك كل اللي أقدر أقولهولك .. نسق فكرتك مع النيابة واللي توافق عليه ..نفذه فورا .
- تمام يا فندم

***

كانت هذه الفكرة عبقرية بصدق لكنه لم يكن يعرف وسيلة تطبيقها ..

نصحه وكيل النيابة بعد موافقة النائب العام .. علي استخراج صورة طبق الأصل من جميع مستندات القضية وتسجيل الجريمة ضد مجهول .. وبهذه الطريقة يصبح لدي القانون ملفا جديدا يفصح عن كل تفاصيل الجريمة التي توصل إليها ..

دخل مكتبه في اللحظة التي كان يرن فيها الهاتف ..

- ألو ..أيوه يا محمد ..
- إيه الأخبار ..عملت ايه ؟
- قول لي الأول إنت وصلت لإيه ..
- المواد اللي تم حقن محمود وأحمد ضرغام بيها غير مستخدمة أصلا مع بعضها في أي مهدئات ولا مدرجة نهائيا في أي إستخدام طبي
- يعني إيه ؟
- يعني إحدي المواد دي فقط اللي بتكون موجودة لاستخدام طبي معين .. وكلهم مختلفين عن بعضهم ..

الهيوسين بيستخدم كمنوم ومضاد للتشنج والهيوسيامين بيستخدم في علاج الربو كمهدئ للشعب الهوائية والإتربين موسع لحدقة العين

- يعني ايه بردو ؟

- يعني اللي ارتكب الجريمة .. عامل كوليكشن محترم ..سم وصاية ..

المواد دي لا تجتمع مع بعضها غير في نوع من الزهور إسمه (داتورا سترامنيوم) .. وده معناه إن الشخص اللي قام بعملية القتل دي .. يا صيدلي .. يا خبير في النباتات السامة .. !

- وده هفيدني أنا في إيه يا عبد السلام ..البصمات ..وصلت للبصمات ؟

- شغالين عليها .. بكره يكون كل شيئ إنتهي ..

***

في مساء اليوم التالي توجه الرائد أحمد بملف التحقيقات الي منطقة جولف السليمانية الكيلو ٥٥ طريق مصر الأسكندرية الصحراوي حيث تلقي إتصالا تم تحديد المكان والزمان فيه..

ذهب وحده وكان نادر وزملاؤه يراقبون الموقف من بعيد ..

تم إطلاق سهما خفيفا كتلك التي تطلق علي الحيوانات في الحدائق ليتم تخديرها قبل أن يفحصها الطبيب في حالة هياجها ..

وقع أحمد علي الأرض .. حاول زملاءه التقدم .. نصحهم نادر بالصبر .. ليعرفوا ما الذي سيتم ..

في دقائق .. ظهرت سيارة جيب سوداء اللون لا توجد عليها لوحة الأرقام .. خرج منها رجالا ملثمين ..

حملوا أحمد والورق إلي السيارة وذهبو به بعيدا بسرعة هائلة منعت نادر ورفاقه من التقدم ولو لشبر واحد .

***

في محطة للكهرباء .. شبه مهجورة .. في مكان ما .. كان أحمد يجلس علي كرسي معصوم العينين .. واليدين ..وحسام نائم في الأرض بالقرب منه .. لم يكن الملف موجودا . ولم يكن يبدوا أن هناك أحدا في المكان .

أفاق أحمد من أثر المخدر .. حاول فك قيده ليزيح هذه العصابة عن عينيه .. ليري في أي مكان هو .. حاول بعنف أكثر ..لم يستطع.. في الوقت الذي أفاق فيه حسام ونطق باسمه ..

- بابا

وكأن الحياة قد رُدت إليه من جديد :

- حسام .. حبيبي ..إنت كويس .؟
- أيوه
- فيه حد معاك يا حبيبي ..
- لأ ..
- طب إنت مربوط

قبل أن يكمل ..إقترب منه حسام ..

- طيب شيل البتاعة دي عن عنيا ..

أزاحها حسام .. فاحتضنه بجزعه ومسح ذقنه برأسه ..

- تعرف تفك بابا .. حاول تفكني ..

***

خرج أحمد ليجد نفسه في مكان شبه مهجور يبدو كأنه كان يستخدم كمحطة لتوليد الكهرباء ..ياله من مجرم ذكي .. ما هذا التلاعب الذي يقوم به ..

عملية إختطاف كاملة ..لا يري من أثرها أي شيئ .. عملية التسليم والتسلم تمت بنظافة ..

هكذا قال قبل أن يضحك ..

سارع الي المنزل عبر سيارة تحمل خرفانا للقاهرة .. ليذهب بحسام إلي أمه لتطمئن عليه .. قبل أن يذهب إلي مصطلحة الطب الشرعي ليتأكد من المخدر الذي حقن به ..

- زي ما توقعت .. هيوسين !

آآآآه يا ابن الـــ ... إيه بطارد اللهو الخفي ..!

وحياة أمك ما هرحمك بس تقع في إيدي ..!

***

وصل الي مكتب الإدارة في حالة من الإعياء الشديد .. جلس إلي مكتبه بينما كان يراجع بعض الأوراق الخاصة بقرية لمار ..

لماذا لم تنتهي هذه القرية كسابقتها ؟!

أرض بعقود ملكية خاصة بالسيد محمود سعيد ضرغام سعر المتر جنيه واحد ..

ومع أن ثروة محمود ضرغام بضعة مليارات إلا أن هناك أوراق تفيد بحصوله علي قرض من بنك الأمان يصل الي مليار و٣٠٠ مليون .؟!

هذه ليست المشكلة ..فعلي ما يبدوا أنها عملية أخري كتلك التي إعتاد محمود ضرغام وثابت القيام بها ..

لكن المشكلة هي أن هناك عقود تفيد بتعاقد ضرغام مع شركات سويسرية لبناء القرية علي الطراز الحديث .. ومكاتبات أخري تلغي وتؤجل هذه التعاقدات ..

كل هذا قد يبدوا طبيعيا للوهلة الأولي إلا أن الشيئ اللافت هو أن تاريخ هذه المكاتبات التي تطلب التأجيل من الشركة قبل دخول ضرغام للمصحة بثلاثة أشهر .. وهي نفس المدة التي قالت ماجدة الشماع أنها بدأت بوضع الحبوب فيها لضرغام أثر المشادة التي حدثت بينه وبين ثابت ..!

هل هي مصادفة ..أم أن قراره بتأجيل البناء وإلغاء التعامل علي هذه الصفقة هو سبب الخلاف بينه وبين ثابت ؟!

لا تبدو الأمور في هذه القضية تحدث صدفا ..!

***

في السابعة مساء من نفس اليوم تلقي الرائد أحمد خبر وفاة ماجدة الشماع في حادث تصادم علي الطريق الدائري .. !
اصطدمت بسيارة نقل بعد اختلال عجلة القيادة وماتت من فورها ..
انتقل لموقع الحادث قرب نزلة نادي الرماية .. ليؤكد شهود العيان أن السيارة النقل كانت تضيق عليها الخناق حتي تسببت في إختلال عجلة القيادة واصطدمت بالسور قبل أن تقع السيارة من أعلي الكوبري .. !
مما يعني انها عملية قتل مدبرة !!

***

في صباح اليوم التالي وصل محمد عبد السلام الي مطار القاهرة قادما من الولايات المتحدة .. حيث استطاع مع فريق من الخبراء فك شفرة البصمة الغير مكتملة وتحليل بصمات العرق الخاصة بالفريق الطبي وموظفي المصحة ..

إتجه من المطار مباشرة إلي مكتب الرائد أحمد صبري ..

- عبد السلام .. حمد لله علي سلامتك .. مبلغتنيش ليه بمعاد وصولك كنت جيت لك المطار ؟

- محبتش أضيع وقتك .. أول ما انتهيت أخدت أول طيارة وجيت فورا ..

- وإيه الأخبار .. قدرت توصل لحاجة ؟

- طبعا .. وهتتفاجئ الحقيقة من النتيجة اللي وصلنا لها ..!

سكت الرائد أحمد وهو يعود بظهره للخلف منتظرا أن يكمل حديثه :

- البصمة الغير مكتملة .. كملناها وحللنا بصمات العرق بالكامل ..

- عظيم جدا .. بصمة السلك بتطابق مع مين ؟

- شوف يا سيدي ده تقرير وافي بالبصمات ..

وأردف:

بصمة العرق اللي علي السلك تتطابق مع بصمة عرق الدكتور شوكت شاكر.!

ففغر فاه أحمد وهو ينطق بدهشة :

- مدير المصحة ؟! معقول ..!

- لكن زي ما قلنا قبل كده .. السلك ممكن يكون مسروق.. أو يقول الدكتور شوكت نفسه إنه ممكن يكون إتسرق من المصحة

- عشان كده فاضل إننا نقارن البصمة المكتملة ببصمات الفريق الطبي .. ولو تطابقت البصمة مع شوكت شاكر يبقي اللغز إتحل .. لكن لو تطابقت مع أي شخص تاني غير شوكت شاكر ..ده معناه إن إحتمال إن السلك يكون مسروق من مكان ما للإيقاع بشخصه وارد جدا ..!

- تمام .

***

وبدأت تتكشف خيوط اللغز ..

اتجها علي الفور إلي الأدلة الجنائية ليتم البحث عن البصمة المُسْتكمَلة ..

في الوقت نفسه إتجه نادر الي المصحة ليستدعي مدير المصحة والأطباء .

وصل نادر الي الإدارة ..وبدأ في أخذ بصمات الفريق الطبي ومدير المصحة وسط تذمرهم الشديد من الإجراء التعسفي الذي يتخذ معهم .. كما حرص علي التأكد من عدم وجود أي تشويه في أيا من أصابع أيديهم جميعا قبل الحصول علي بصماتهم .

وصل الرائد أحمد مع عبد السلام الذي استلم بدوره كشف بصماتهم ليقارنها بالبصمة المُسْتكمَلة.

وتم التحفظ عليهم جميعا لحين الإنتهاء من التدقيق في البصمات

***

بعد خمس ساعات من التدقيق في البصمات حضر محمد عبد السلام بتقرير المعمل الجنائي بمطابقة البصمة المُسْتكمَلة ببصمة الدكتور هاني !

إحتد أحمد :

- يعني إيه .. بصمة العرق متطابقة مع بصمة الدكتور شوكت ..والبصمة المُسْتكمَلة متطابقة مع بصمة الدكتور أمجد فكري .. ده معناه إيه ؟

حاول عبد السلام التخفيف من حدة الحوار :

- يا السلك مسروق من المصحة والدكتور أمجد هو اللي قام بتنفيذ العملية دي من الألف للياء .. يا دكتور شوكت هو اللي قام بتنفيذ العملية دي .... يا هما الإتنين مشتركين في تنفيذ العملية .

قال منفعلا :

- يا سلام .. حلتها إنت كده .. !

تنهد بصخب ثم حاول فك رابطة عنقه طلبا لتنفس رشيق ..ثم أشار إلي نادر :

- هات لي شوكت شاكر وأمجد فكري ومشي لي الباقي

بعد دقائق دخل شوكت شاكر ومعه الدكتور أمجد وهم في شدة الغضب من الإجراء التحفظي الذي قام به الرائد أحمد معهم .. قال الدكتور شوكت بإنفعال :

- أنا عايز أفهم إيه اللي بيحصل معانا بالضبط ؟ ده تحفظ غير قانوني ..وأنا مش هسكت ..

نظر إليه الرائد أحمد في لا مبالاة ونقّل النظر إلي الدكتور أمجد منتظرا تعقيبه هو الآخر فقال :

- يا فندم إحنا دكاترة محترمين ولينا سمعتنا ..إحنا بقي لنا هنا أكثر من ٨ ساعات ومش عارفين إحنا هنا ليه ؟

ضرب أحمد بيديه علي المكتب وهو ينفث تنهيدة طويلة وجحظت عيناه لهم وهو يقف في قبالتهم من خلف مكتبه :

- شوفو بقي .. فيه جريمة قتل حصلت في مصحتك يا دكتور شوكت .. القتيل رجل أعمال معروف .. كمان إبن القتيل إتقتل في بيته ..

وأدار لهم ظهره وهو يقول :

- الإتنين تم إستعمال نفس السم معاهم .. إلا إن الأخير القاتل خلص عليه بخنقه بسلك طبي ..من اللي بيتم إستخدامهم في العمليات الجراحية ..

وشوفوا بقي محاسن الصدف ..

وإلتفت إليهم وهو يشير :

- بصمة عرقك يا دكتور شوكت متطابقة تماما مع نفس بصمة العرق الموجودة علي السلك الطبي .. وبصمة إيديك يادكتور أمجد متطابقة تماما مع نفس البصمة الموجودة علي

السلك . يعني بالنسبة لي القضية كده قفلت صح !!

وجلس علي كرسي المكتب وهو يضحك :

- بالنسبة لي إنتم شركاء في الجريمة دي .. آآه نسيت أقولكم كمان إن فيه جريمة قتل ماجدة الشماع مديرة مكتب محمود ضرغام ..

ثم شبك أصابعه خلف رأسه وهو يبتسم :

- مبروك الإعدام ..!

صرخ دكتور أمجد :

- ده كلام فارغ .. إيه اللي إنت بتقوله ده

- أنا مبقولش .. الأدلة هي اللي بتقول .. ماهو يا حد فيكم هو القاتل ..يا انتم الاتنين شركاء في الجريمة .. ومفيش حد هيخرج من هنا غير لما أعرف الحقيقة ..!

تصدقو نسيت أقولكم علي جريمة خطف ضابط ..وابنه كمان ..

يا سلام تشكيلة تُهم تجنن .. !

ساكت ليه يا دكتور شوكت ..؟

- أنا عايز المحامي بتاعي لو سمحت

- هنجيب المحامي..لكن هيعمل إيه المحامي قدام بصماتك يا دكتور ؟!

- أنا معملتش حاجه.. يعني حضرتك متخيل في سني ده هقدر أعمل كل اللي انت بتقوله ده ..

فانتفض أمجد :

- يعني تقصد إيه ..أنا بريئ من التهم دي ..أنا كمان معملتش حاجة .

فجلس أحمد وهو يقول :

- أنا معنديش وقت للكلام ده ..التُهم لابساكم لابساكم .. هحولكم للنيابة وهي بقي تثبت مين فيكم البريئ .. ده شغلهم هما .. إحنا خلاص شغلنا بينتهي بتسليمكم للنيابة .

جلس الدكتور شوكت شبه منهار فاقترب منه الرائد أحمد :

- إنت كده كده هتتقدم للعدالة بالأدلة اللي تثبت إنك شاركت علي الأقل في إرتكاب جريمة زي دي ..

- والله أنا بريئ ..

نادي أحمد علي نادر وطلب منه التحفظ علي الدكتور أمجد لحين إستدعاءه لإستكمال التحقيق ..

خرج الدكتور أمجد شبه منهار ..بينما إقترب الرائد أحمد من الدكتور شوكت :

- تعرف إيه عن الداتورا ..؟

- والله ما قتلت ..أنا بريئ ..أنا ..أنا

- تعرف إيه عن الداتورا يا دكتور شوكت ..

- داتورا ؟؟

- إيه متعرفهاش .. ؟

- الداتورا عبارة عن نبات عشبي من العائلة الباذنجانية.. فيه منه أنواع كتير ..

- ما انت مذاكر أهو ..!

- أنا معايا ماجستير في العقاقير .. والنباتات والمستخلصات كانت شغلي فترة طويلة ..

- يعني !!

- يعني أقدر أعمل مستخلص من أي نبات ..أو زهرة .. أو أي شيئ ..!

- إزاي دكتور نفسي ومعاك ماجستير في العقاقير ..؟

- أنا دكتور صيدلي .. ودخلت كلية الطب بعد ما اتخرجت من صيدلة ..وفي نفس الوقت كنت بحضر ماجستير في العقاقير وحصلت عليه بإمتياز ..

- يعني عملت مستخلص من الداتورا وإنت عارف أثرها الطبي كويس ؟؟

- بقول لحضرتك انا أقدر اعمل أي مستخلص يطلب مني ؟

- سؤالي واضح ..

بتلعثم :

- أيوه

- لمحمود ثابت ..؟

لم يرد فكرر السؤال بحدة :

- عملت مستخلص من الداتورا لمحمود ثابت ؟

- أيوه

- ليه ؟

- أنا معرفش .. كل اللي أعرفه إنه طلب مني إني أقوم بعمل مستخلصات لأنواع معينة من الزهور .. بشرط إن المستخلصات دي تكون مختلفة التركيز ..

- زهور زي إيه ؟

- (داتورا سترامونيوم) و(دفلي) و(دبم كان) و(أزاليا) ..

- واشمعني الزهور دي بالذات ..

- أنا معرفش والله لكن كل اللي أعرفه إن الزهور دي كلها مميتة ..وسمومها شديدة الفتك ..لدرجة إن مضغ ورقة واحدة كافي جدا لحدوث الوفاة .

- وحقنت محمود ضرغام بمستخلص الداتورا مش كده ؟

- والله لأ... أنا مهمتي إنتهت عند المستخلصات فقط .. ومعرفش أي شيئ أبدا عن الحادثة دي ..

- منين جبت النباتات دي ؟

- دكتور محمود ثابت غاوي ..عنده حديقة مخصوصة في قصره مليئة بأنواع مختلفة من النباتات وهو شخصيا بيجد متعة غريبة في زراعة الأنواع الخطرة والسامة .

- وأمجد ؟

- أنا معرفش أي شيئ عن إن كان عمل شيئ أو لأ

- كله هيبان .. يا دكتور شوكت ..

خرج الدكتور شوكت مع التشديد بالتحفظ عليه وعدم السماح له بالتحدث مع الدكتور أمجد .. ليدخل محمد عبد السلام ونادر قبل دخول الدكتور أمجد بدقائق ..

- الحالة الجسمانية والعمرية للدكتور شوكت فعلا لا تؤهله إنه يقوم بعملية القتل بالمهارة دي ..

- والله يا أحمد بيه ..واضح جدا إن أمجد ضلع أساسي في الجريمة دي ..

دخل الدكتور أمجد مرتبكا :

- دكتور شوكت طالع طالع .. عنده دليل قوي لوجود بصمة عرقه في مسرح الجريمة وواضح كده إن الجريمة ..

قاطعه هاني :

- انا هعترف لحضرتك بكل شيئ .. بس أرجوك تساعدني ..أنا ولادي في خطر ..

- إتكلم عشان نساعدك ..

- أنا ولادي اتخطفوا من المدرسة .. وفي نفس الوقت عشان ميحصلش مني بلاغ أو من والدتهم .. لقيت ناس بتطلب مقابلتي في المصحة .. قابلتهم فعلا ..وكانوا من طرف شخصية عامة يصعب إنها تقابلني في مكان عام ..وطالبة مقابلتي ..

- مفيش أي شخص كان يعرف أي شيئ حتي أنا شخصيا مكنتش أعرف شيئ عن خطف ولادي ..

- مين الشخصية دي ؟

- فوجئت إنه دكتور محمود ثابت معالي وزير الإسكان .. وطلب مني وقتها إني أحقن أستاذ محمود ضرغام بحقنة معينة هيسلمها لي

- واشمعني إنت بالذات ؟

- لإني الطبيب المشرف علي حالته وطبيعي إني أكون متواجد معاه بإستمرار ..وأحقنه بأي مهدئ أشوفه مناسب في أي وقت الحالة تستدعيه . وبكده عمري ما هكون موضع شك من حد !

- وبعدين ..

- سلم لي ولادي وقال لي إن ولادي هيكونو في خطر حتي وهما معايا لو منفذتش إلي بيطلبه ..وإنه بموقعه هيحميني لو شيئ حصل ..لكني مكنتش أعرف إن الحقنة دي فيها سم ..كنت أعتقد إنه مهدئ قوي .. أو مخدر .. لإنه طلب مني إحكام وثاقه بشدة بعد حقنه في السرير لإنه مش عايز لما يتكلم معاه يكون صوته عالي ويلفت الإنتباه .. وإن حساسية موقفه ومركزه تمنعه . كان طلب غريب جدا فطلبت إني أحقنه بمهدئ من المصحة ..لكنه رفض بشدة وهددني وطلب مني تنفيذ اللي يطلبه بالحرف .

- وعرفت إمتي إنها سم ؟

- أنا قلت لنفسي وإيه يعني ..إيه اللي هيحصل ..الراجل هيجي يتكلم معاه كلمتين وهما وزراء ورجال أعمال مع بعض .. أنا هدخل نفسي وسطهم ليه وأعرض نفسي للمشاكل .. فحقنته فعلا في المعاد اللي طلبه مني بالليل في الراوند اليومي علي المرضي.. وعرفت تاني يوم الصبح إنه مات لما صرخت فاطمة بعد ما دخلت عليه عشان الفطار .

- عايز تقول إنك إتهددت وتم خداعك عشان تحقنه بالسم؟

- والله ده اللي حصل ...وولادي دلوقتي ممكن يكونو في خطر لو عرف إني إتكلمت !!

- وأحمد ضرغام ؟

- معرفش عنه أي حاجه ..!

- وبصمتك اللي ع السلك ..؟

- وارد إن بصمتي تبقي عليه لو إتاخد من دولابي أو بعد ما خيطت أي جرح لأي مريض ..

- فيه عمليات بتحصل في المصحة ؟

- لا .. دي مصحة نفسية ..يعني مفيش عمليات عضوية .. لكن أنا خيطت جرح قبل الحادثة بأسبوعين لأحد النزلاء لما وقع وأصيب في رجله .

***

- أخيرا يا فندم .. وصلنا لحل اللغز ..

- لسه لغز أحمد ضرغام ..

- حتي لو تم استئجار أي قاتل محترف لقتل أحمد ضرغام وسرقة الملفات اللي بتدين محمود ثابت .. فالحل هو إننا نواجه محمود ثابت نفسه بأقوال شوكت وأمجد .

- الموضوع دلوقتي في إيد مدير الإدارة ..لأنه رفع الملف كامل لرئيس الوزراء والنائب العام

***

الفصل الثاني عشر

الختام

يجب أن تقترن العدالة بالقوة بحيث يصبح كل

شيء عادل قوي وكل قوي عادل.

(بليس باسكال)

- صباح الخير يافندم ..أنا اللواء رفعت جمال الدين من رئاسة الجمهورية

وسيادته الرائد أحمد صبري من الإدارة العامة للمباحث الجنائية ومعانا أمر بالتفتيش

- تفتيش إيه ..إنت مش عارف إنت موجود في بيت مين ..؟

- صدر قرار جمهوري صباح اليوم بعزلك من منصبك وتحويلك للتحقيق يافندم .. إتفضل.

- إنت بتقول إيه ..

إتجه إلي التليفون فور قراءته للقرار الذي تسلمه ..

- يافندم إيه اللي حصل .. أنا مش فاهم حاجة ..

أسمع كلامهم إزاي ...؟

في الوقت ذاته كان الرائد أحمد حريصا علي البحث عن المستخلصات التي تحدث عنها الدكتور شوكت حيث ستكون دليلا دامغا علي تدبيره جرائم القتل .

كانت الحديقة الخلفية للقصر تماما كما وصفها الدكتور شوكت .. أشار محمد عبد السلام إلي زهرة في الحديقة تمتد أوراقها .. وتكتسي بلون أبيض

- هي دي الداتورا ..

أشار للمصور :

- صور كل الكلام ده ..

في نهاية الحديقة كان هناك باب يفتح علي مخزن يحتوي علي أدوات الزراعة الخاصة بالتقليم والتشذيب ..وكان من بينها عدد لا بأس به من الزجاجات التي تحتوي علي سوائل ملونة ..
ابتسم الرائد أحمد عندما وجد هذه العبوات ..
- أخيرا

***

في اليوم التالي تم تحويل القضية للنائب العام ليحقق مع الدكتور محمود ثابت بعد إثبات صور الحديقة التي تحتوي علي أنواعا مختلفة من الزهور السامة .. والمستخلصات التي أثبت الطب الشرعي بأنها مستخلصات شديدة التركيز لتلك الزهور السامة .
إتهم النائب العام الدكتور محمود ثابت بعد حصوله علي ملف شامل بكل مخالفات بيع الأراضي التي تمت في حقبته الوزارية بإهداره للمال العام وإستغلال منصبه للتربح .. كما تم إتهامه بقتل رجل الأعمال محمود ضرغام وإبنه ومديرة مكتبة .

***

بعد سلسلة من التحقيقات حاول محمود ثابت الدفاع فيها عن نفسه بإستماتة تم الحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة .. ورد جميع الأراضي التي تم استغلالها مرة ثانية للدولة ..

كما تم الحكم علي الدكتور شوكت شاكر والدكتور أمجد بالسجن لمدة سبع سنوات ..

و تمت ترقية الرائد أحمد صبري الي رتبة مقدم

***

بعد سلسلة من التحقيقات حاول محود ثابت الدفاع فيها عن نفسه بإستماتة ..إستطاع فريق دفاعه من نفي جميع التهم الموجهة إليه.. بعد تقديم الأوراق التي تثبت عدم إستغلاله لمنصبة أو التربح منه .. كما تم نفي تهمة الإشتراك أو التحريض علي القتل بعد تبديل السوائل التي تم الحصول عليها من قصره بسوائل أخري لنباتات طبية وزيوت طيارة .. وأثبت فريق الدفاع انها للتداوي ليس إلا..!

كما تمت تبرئة ساحة الدكتور شوكت شاكر من التهم المنسوبة إليه وإتهام الدكتور أمجد بالقتل مع سبق الإصرار والترصد ..

وتحويل الرائد أحمد صبري والدكتور محمد عبد السلام بدوره وكل من إشترك في إعداد تقارير أسباب الوفاة من فريق الطب الشرعي الي التحقيق بتهمة تلفيق الأدلة .

***

لك أن تتخيل النهاية كما شئت .

فمتي ننصر الخير فينا سينتصر الحق أبدا ..ومتي خذلناه فينا مات العدل أبدا .!
ومتي إنعدمت الثقة بين الحاكم والمحكوم .. تفشي الظلم أبدا ..!
فليُقِمْ كل منا العدل في نفسه ..فليس مهما أبدا أن يحدث ما يسيء ، ولكن الأهم ألا يتكرر حدوثه .

تمت

المحتويات

الفصل الأول :المصحة	١١
الفصل الثاني: الداء الخفي يصعب شفاءه	٣٥
الفصل الثالث: الإتروبين	٥٧
الفصل الرابع : الخيط	٧٧
الفصل الخامس: الثغرة	٨٧
الفصل السادس: شبه بصمة	٩٧
الفصل السابع : هلوسة	١١١
الفصل الثامن: محاولة أخيرة للنجاة	١٢٧
الفصل التاسع :بداية النهاية	١٣٧
الفصل العاشر: نقطة عرق	١٤٥
الفصل الحادي عشر داتورا	١٥٣
الفصل الثاني عشر :الختام	١٧٩

صدر للكاتب

- أكذوبة أسميتموها الحب - ديوان
- الحب بيننا قصيدة فوضوية - ديوان
- عربي انا فاحتلوني - قصص قصيرة
- مستعمرة القمر - رواية - الطبعة الخامسة
الشعب يريد الكرسي تيفال - الطبعة الثانية